مختارات من الأدب الأنجلو- أمريكي



ترجمة الدكتور / محمد السيد علي عزب
الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

قائمة المحتويات

تقديم:

في الصفحات التالية نماذج من الأدب الإنجليزي والأمريكي تغطي جلة الأشكال الأدبية من المسرح والقصة والقصيدة ونثر أدب الرحلات.

كثير من القراء والدارسين يعرفون شكسبير وملتون وجونسون وكيتس وشيللي وآرثر ميلر وإرنست هيمنجواي ومارك توين وإيملي ديكنسون وغيرهم، لكنهم لا يعرفون ألن مونكهاوس وراشيل كرومبتون ولوسي مود مونتجمري وإدوارد توماس وكيث دوجلاس وآرثر جون بنج ويفل وهنري هارمن. من أجل ذلك عرجت في كتابي هذا علي المجموعة الثانية وقدمت جزءا من أدبهم لأول مرة للقارئ العربي.

لهذا الكتاب فائدة أخري غير الاستمتاع وأعني إخضاع النصوص الواردة فيه للنقد الأدبي خاصة وأنها كما أشرنا جديدة لم يسبق ترجمتها وبالتالي لم يتم تناولها بالدراسة والتحليل.

فائدة ثالثة ترجي من وراء هذا العمل وهي تحليل الترجمة من قبل دارسي هذا الحقل، ومن أجلها وضعت النصوص الإنجليزية ملحق الكتاب الذي أرجو أن ينال رضا القارئ ويمثل إضافة للمكتبة العربية.

الاختيار
مسرحية من فصل واحد

آلان مونكهاوس

نبذة عن المؤلف:

ألان مونكهاوس Allan Monkhouse

- ولد في انجلترا عام1858.
- عمل في جريدة الجارديان.
- توفي عام1936.

شخصيات المسرحية:

السيدة ليِلي "زوجة السيد / لِيلي"
إيلا كريستي
آن
الرائد / جريج

المشهد

حجرة المعيشة في بيت صغير يقع بالريف. تشاهد نافذة علي الطراز الفرنسي تطل علي الحديقة الخلفية، كما يري باب جانبي. تقبل إيلا من مدخل الحديقة وبيدها بعض الورود بينما تدخل آن وهي سيدة في منتصف العمر من الباب الجانبي تحمل صينية عليها خطاب وتناوله لإيلا.

آن آنسة إيلا. أبلغني ساعي البريد أنه حدث تأخير في تسليم هذا الخطاب، وهو كما ترين موجه إليك علي عنوان السيدة لاسلي

إيلا "لاسلي"..." لِيلِيّ"، التشابه في الاسم ليس كبير. ضعيه هنا من فضلك يا آن. أعتقد أنه من شخص لا يعرف ما حدث.
"تلقي نظرة عابرة علي الخطاب الذي وضعته آن علي المائدة، بينما تسقط منها بعض الورود"

آن أعتقد أنه لك باسمي.

إيلا مؤكد لي يا آن.

آن حسنا باسمي إيلا. آمل ألا يحوي شيئا يضطرك للرحيل إذا أمكنني قول ذلك، فأنت تعلمين كم أحدث وجودك فرقا وأفاد ربة المنزل إلي حد كبير. إنها تحاول أن تتماسك بيد أن الحزن يعتريها منذ وفاة السيد ولتر. آه، يال المسكينة! لا ينبغي أن أتفوه بكل هذا. ما الذي يدور بخاطري؟ سامحيني باسمي إيلا.

إيلا منذ وفاة السيد ولتر؟

آن حسن. في وجود أي شخص تحاول أن تبدو فخورة بل وسعيدة، لكن الأمر جد مختلف عندما تختلي بنفسها. في وجودك تكون علي سجيتها أكثر لأنك أنت أيضا، بالطبع، لكن! باسمي إيلا إنك مازلت صغيرة، لذا أتكلم معك بدون قيود، أما بالنسبة للأم فالأمر ليس كذلك.

إيلا صغيرة. حسن!

آن لا أكترث باسمي إيلا إذا اعتقدت أنني صفيقة فمصلحتك تهمني، لذا لن أمل ذلك. لقد عرفتك منذ كنت فتاة، وعرفته أيضا منذ وفاة أبيه، هذا الشاب المسكين. تترائي أمامي

ذكريات هذا اليوم الذي رحل فيه السيد ولتر ليقاتل البوير.
يومها قالت لي السيدة:"لن أراه ثانية يا آن" قلت لها:"هذا هراء يا سيدتي" لكني صدقتها. لم أري أحدا في حياتي مثله باسمي إيلا. كان كارها للرحيل. لم يشأ أن يتركك بعد شهر واحد من خطبتكما. والآن يا آنسة إيلا أرجو المعذرة، لقد عرفتك منذ أمد بعيد وما أو د قوله هو كفاك حزنا. بالنسبة للأم الأمر مختلف، إنها لا تملك سواه. ربما أغضبك ما أريد قوله لكنني أتمني أن يكون هذا الخطاب من شخص آخر، حبيب آخر.

إيلا **"بعد برهة"**
كيف عرفت ذلك يا آن؟

آن ياإلهي! حقا يا آنسة إيلا؟

إيلا حسن. ربما يريد أن يكون كذلك.

آن إذا كان يروق لك فلا تصديه إذن. أكلمك امرأة لامرأة . لا تضيعي الفرصة. ستقابلين الكثيرين لكن إذا كنت تحبينه حقا...
"تدخل السيدة لِيلِيَّ"

السيدة لِيلِيَّ هل كان ذلك ساعي البريد يا آن؟

آن حمل خطابا للآنسة إيلا يا سيدتي.

"تخرج آن"

إيلا من الرائد جريج.

السيدة لِيلِيَّ آه! عزيزتي إيلا لم تفضيه بعد.

إيلا لم يتح لي الوقت. لقد كنت أتحدث مع آن، ناهيك عن أنني أحاول التفكير قليلا بادئ ذي بدء.

السيدة لِيلِيَّ دعيني أساعدك.

إيلا **"تلتقط الخطاب"**
لقد أخطأ في كتابة اسمك ياسيدة لاسلي، وانه لتعتريني الدهشة

كيف حصل علي عنوانك. ثم أنني جئت إلي هنا لتهدأ خلجات نفسي وأمعن التفكير وأتحدث إليك. لا أدري هل أنا سعيدة أم آسفة لمعرفة هذا الشخص. تري آن أن وجودي هنا كان أمرا طيبا بالنسبة لك والحقيقة أن الذي أتي بي هنا هو أنانيتي المفرطة. لقد أردت أن أري الأشياء بعينيك.

السيدة لِيلِيَّ ياعزيزتي. لا أزيد علي ماقلته لك مرارا وتكرارا: إن ولتر قد مات وأنك مازلت صغيرة.

إيلا لابأس بما قلتي وأجزم أنك في بعض الأحيان تنتابك الرغبة في الاختلاء بنفسك. أعتقد أني أتفهم ذلك. حسن. لايمكن أن أنسي ولتر البتة، لكنك تريدني أن أسلاه فإذا تزوجت صار كله لك. تريدني بدافع من الغيرة أن أبعد. أجل. تعرفين ذلك.

السيدة لِيلِيَّ كل هذا طبيعي ياعزيزتي فأنا أمه وأنت صغيرة.

إيلا أجل. أنا صغيرة، سمعت ذلك كثيرا. أعرف أن مجافاة الصبا أمر لايطاق كما أدرك أنه لايمكنني أن أقتات علي الذكريات، لكن سيبدو الأمر وكأنني تخليت عنه. ضرب من الخيانة. ليتني أجد كلمة أخف وطأة "تقلب، صدود"؟ بيد أنه ليس كذلك.

السيدة لِيلِيَّ كلا. كلا ياعزيزتي، لو أمكننا استحضاره لعرفت أن هذه رغبته فهو يتمني لك السعادة. أنا واثقة من ذلك. أود أن أري هذا الرائد جريج كي يطمئن قلبي وأعلم أنه يستحقك. لاعليك، دعينا من ذلك وأخبريني، هل شارك في الحرب؟ وهل تراه قابل ولتر هناك؟

إيلا لقد شارك في الحرب لكن حديثه لايتطرق إليها.

السيدة لِيلِيَّ لايتكلم الشجعان عن الحرب وأحسب أن بإمكانهم كشف النقاب عن قدر كبير منها ولو أن ولتر عاد حيا مانبس ببنت شفه. من الصعب أن نجهل كيف حدث الأمر برمته . لو أنني سعيت لمعرفة ماحدث، لكن فات أوان ذلك. إنني علي يقين أنه لقي حتفه ببطولة وشرف. تري هل تناهي إلي مسامع الرائد جريج

شيئا عنه؟

إيلا عن ولتر؟ لم أتحدث عنه مطلقا. هو يعلم أنني كنت مخطوبة، لكن لم أذكر اسم ولتر قط.

السيدة لِيلِيَّ بالطبع لم يتح له الوقت ليكتسب اسمه الشهرة.

"تدخل آن"

آن إذا سمحت يا سيدتي هناك رجل علي بوابة الحديقة يشخص إلي المنزل دون حراك.

السيدة لِيلِيَّ اسأليه يا آن إذا كان بوسعنا فعل أي شيء من أجله.

" تدنو آن من مدخل الحديقة تسبقها خطوات إيلا التي تطل بنظراتها هناك"

إيلا إنه الرائد جريج.

السيدة لِيلِيَّ حقا! دعيه يتفضل بالدخول يا إيلا.

"لا تحرك إيلا ساكنا"

أما أنا فسوف..........

"تهم بالخروج"

آن هل هو حقا يا آنسة إيلا؟

إيلا أصمتي يا آن.

آن كنت أود أن أكون بالقرب منك لأسدي لك النصح يا آنسة إيلا.

إيلا عن جد! حسن يا آن.

"تضحك"

سوف أناديك إذا واجهت صعوبة ما.

آن افعلي ذلك يا آنسة.

"تخرج آن في اللحظة التي تعود فيها السيدة لِيلِيَّ بصحبة الرائد جريج من مدخل الحديقة"

جريج يال حسن صنيعك. قلت في نفسي لابد وأن يكون هذا هو المنزل الذي أنشده لكن الذين سألتهم لم يعرفوا اسمك. آه!

"يري إيلا فيمضي قدما لمصافحتها"

هل وصلك خطابي؟ أرجو أن تكون الآنسة كريستي قد سبقتني بتقديم الاعتذار عن هذه الزيارة العرضية ياسيدة لاسلي.

إيلا ذاك خطابك. لقد وصل لتوه.

جريج تخليت أنه وصلك هذا الصباح. لاعليك فما أردت قوله

"ناظرا بود واستفهام إلي السيدة لِيلِيَّ والتي تبادله بابتسامة فينفغر فاه ضاحكا"

أرأيت كان من الضروري أن أحضر.

السيدة لِيلِيَّ ونحن سعداء لرؤيتك أيها الرائد جريج. سنأخذ الشاي سويا في الرابعة والنصف. بالمناسبة أين تمكث؟ الدراجون؟ أجل. حسن. يمكنك أن تأتي هنا وقتما شئت وأفضل طريق هو الذي سلكته عبر الحديقة. سأترككما الآن لتتبادلا أطراف الحديث لآخذ سنة من النوم.

"تبتسم وتومئ برأسها للتحية وتنصرف"

جريج يالها من سيدة جذابة.

إيلا إنها امرأة محبوبة.

جريج حسن. هل رأيت؟ لقد وجدتك.

إيلا وهل كنت مختبئة؟

جريج لم تخبريني بوجهتك؟

إيلا ولما أفعل ذلك؟

جريج لأنك تعلمين مدي اهتمامي الشديد بهذا الأمر.

إيلا كان من الحمق أن أخبرك.

جريج لما؟

إيلا لأنني أتيت إلي هنا لأبعد عنك.

جريج **"يتوقف برهة عن الكلام"**
لما؟

إيلا أردت أن أختلي بنفسي لأفكر أو بالأحرى أردت أن أري نفسي من الخارج بعين شخص آخر.

جريج أي شخص؟ السيدة الطاعنة في السن؟

إيلا نعم.

جريج لا أفهم تماما لكني واثق أن ماتفعليه صواب. هذه العجوز، لشد ماهي جذابة وحزينة. أحسنت صنعا بالطبع بتوقفك هنا للتدبر. أتفق معك في ذلك فأنا أريدك أن تقلبي الأمر علي كل جانب وأن تمعني النظر في شأني أيضا. عزيزتي، يافتاتي العزيزة، هناك الكثير من خصوصياتي التي لابد وأن تشذب وتجود وستجديني متفهم ومستجيب. إنها فترة اختبار فلا تطرحيني جانبا إذا كنت تميلين إليِّ. جري العرف أن يقول الرجل "لست جديرا بك" وهاأنا ذا أقولها. أكاد أجزم بذلك ولكن لا أعرف مصيري فالإنسان تتقاذفه أمواج الحياة فيمر بتجارب قاتمة كئيبة حينا ثم يصالحه الزمن حينا آخر وتهديه السبل إلي هذه النقطة، إليك، إلي هذا المكان الوادع الذي يجلب راحة البال والشمس المشرقة علي الحديقة الصغيرة الفاتنة وفوق ذلك أنت بجمالك وأناقتك الدائمة. هاأنا ذا، بخير حال لكن الحياة لم تكن

دائما زهرية. أكاد لا أعلم مايدور بخلدك   وما الذ ي ينبغي أن يفعله أمثالي ممن يتعلقون بين السماء والأرض؟ ثم أنني لاأخالك ممن يروق لهم دخول الدير؟

إيلا دير الراهبات؟ ربما لو كنت فتاة فرنسية.

جريج أعتقد أن غاياتنا مازالت متعارضة بعض الشيء.

إيلا أخبرتك من قبل أنني كنت مخطوبة وأن حبيبي قد وافته المنية.

جريج نعم.

إيلا هو ابن تلك السيدة التي شاهدتها لتوك.

جريج أمر يسهل تخمينه.

إيلا هذه المرأة تحسن معاملتي، ورغم أنها تعرف حقيقة وجودك لم تؤنبني علي ذلك. لدي قناعة أنها في بعض الأحيان تستمرأ الإحساس بأنها تستحق وحدها العيش علي ذكراه.

جريج ولما تؤنبك؟

إيلا لأنه ابنها.

جريج وهل تعتقدين أن الأمهات بهذا التدني؟

إيلا أخالك علي صواب، لكن عندما أخبرتها عنك بدا الأمر وكأنه ضرب من الإهانة. أتفهم؟ هاأنا ذا أدلي   باعترافاتي وأقر بأن في الأمر ظلم لك.

جريج اعترافاتك؟

إيلا لا. ليس بالضبط، لكني أريد أن أعبر عما تختلج به نفسي ولم أفاتحك بعد في هذا الأمر. أتدري أحس أنه امتلك كل جوارحي

وكياني وأنقم علي نفسي لأن وجودي معك معناه طمس لذكراه، إلا أنه لا يمكن بأي حال أن أكون منصفة وسعيدة، زد علي ذلك أن بالأمر غبن شديد لك. كل هذا يختلط بعقلي ويشوشه فيطرح حصافته وفطنته جانبا ويصمه بالبلادة والغباء. أردت فقط أن أصارحك وأكاشفك ولا أزيد علي ذلك رغم أن الكلام يطول في هذا الشأن.

جريج لا تقولي شيئا يسبب لك جرحا. أعتقد أنه بمقدوري تخيل واستيعاب الموقف تماما. دعينا نشيح بوجوهنا عن الماضي واعترافاته. يخرج الناس في ظني ما في مكنون صدورهم عند الزواج ليشعروا بالارتياح. قد تساورني الشكوك حول حقيقة اعترافاتك فتحملني علي الاعتقاد بأنها واهية وأنك قد قصدت بها اختبار معدني، لكن اليقين لا الريب هو ما أحس تجاهها ولقد أدركت أن هذه اللحظة لا محالة آتية ووقعت في نفسي موقع الرهبة. لا أدري هل ما أتفوه به يعد خطا جسيما لكن لا حيلة لي في الأمر. أخشي أن أكون دققت الناقوس بيدي فنبهتك لكن المحصلة الآن لاشيء، انتهي الأمر. إنك امرأة كريمة ولا أحسب فطرتك تصدر حكما ضدي. سأحكي لك واقعة غريبة لا تناسب أحداثها طبيعة النساء لكن أعلم أنك لن تصابي بالاشمئزاز والغثيان.

إيلا إنني أتغاضي عن الإساءة وبمقدوري أن أعفو وأصفح علي نحو كبير، لكن هلم أخبرني علي وجه السرعة.

جريج لم أحدثك كثيرا عن الحرب وما يشاهد فيها المرء من العجائب والغرائب، وقد يرتكب فيها من شنيع وفظيع الفعل ما يبقي سره حبيس الصدور.

إيلا لا أخشي صنائعك ولا أعبأبفعلاتك.

جريج إنك امرأة نفيسة وفريدة. من سوء الطالع أن عالمنا به مابه من الأفعال الدنيئة من سفك للدماء وخلافه. أتدرين أن وجه مضيفتك السيدة لاسلي قد صدمني بعض الشيء إذ ذكرني بوجه شاب ...

إيلا هلم هات ما عندك، إنك تمعن في المراوغة والتشويق.

جريج ليس تماما. السيدة لاسلي...

إيلا السيدة لِيلِي.

جريج ماذا؟

إيلا السيد لِيلِي. تدأب علي تسميتها لاسلي.

جريج اسمها لِيلِي؟

إيلا أجل، فأنت تخطأ في اسمها.

جريج وكان لها ولد بالطبع. ماالذي يدور بمخيلتي؟ أين لقي حتفه؟

إيلا هل نسيت؟ ألم أخبرك بأنه كان مقدر لي أن أقترن به؟

جريج ومات؟

إيلا قتل في جنوب أفريقيا.

جريج **"محملقا فيها"**
أجل، أجل. بالطبع، بالطبع.

إيلا استمر. أكمل حديثك.

جريج حسن. ماذا كنت أقول؟ يعجز الكلام. تعرفين أحاسيس المرء وما يكتنفها من نوازع وميول. أنت هنا بأناقتك، وهانحن نسدد الضرب ونتبادل الطعن دون نصال فليس هذا زمن السيوف.

إيلا **"تتجه شطره لتضيق الخناق عليه"**
هلا أخبرتني بما كنت تزمع قوله؟

جريج كنت أقول أننا نضطر أحيانا للإتيان ببعض الأعمال القذرة. كما ترين، لا يمكنك لمس القار دون أن يلتصق بيدك الزفت.

إيلا مااللذي تخفيه؟ ما هو؟ وماذا تقصد؟ وماذا يعني كل هذا الهراء؟ هناك ثمة ما يتعلق به؟ فما هو؟

جريج يتعلق بمن؟

إيلا أنت تعرف. ولتر لِيلِي.

جريج كلا. البتة. أؤكد لك أنك مخطئة تماما.

إيلا آه. لا جدوى . لا جدوى . إنك تكذب. أستطيع أن أتبين ذلك. ماذا فعلت؟ لا تحسب أن بمقدورك أن تكتم عني هذا الأمر. يجب أن أعرف. ألا تري ذلك؟ استمر في الحديث.

جريج لا أستطيع.

إيلا هل مازال علي قيد الحياة؟

جريج لا.

إيلا أخبرني عنه. أخبرني عن ولتر لِيلِي. ولتر. ولتر لِيلِي.

جريج لا تفكرين إلا فيه.

إيلا فيه. فيه فقط. لا، أفكر فيك أيضا. إنه لأمر مريع. هل فقد؟ هل تخليت عنه؟ آه. لا تدع عقلي يشت وتلعب به الظنون. لا يمكن أن تكون قاتله. لا تزد الطين بله. هذا ضرب من المستحيل فكلاكما كان في قارب واحد.

جريج لقد سببت لي الارتباك. أريد لحظة هدوء.

إيلا **"تلقي بنفسها علي مقعد وترقبه"**
الحقيقة.

جريج يمكنني أن أختلق قصة واهية لكني لن أفعل. صحيح أن طعم الحقيقة مر ووجهها قبيح لكني سأخبرك بها. لم أعد أحتمل. تكسرت أجنحتي وتحطمت أشرعتي. أما أنت فبإمكانك أن تفعلي الكثير وتتحملي الجليل.

إيلا لايمكنني الانتظار أكثر من ذلك.

جريج حدث ذلك عندما كنت مع ريديك في ترانسفال. كلفني بمهمة ذات طبيعة حساسة. كنا في موضع يدعي إيدردروب. ربما سمعت عن الاشتباكات التي جرت هناك. تعين علي أن أسير بقافلة فارغة من العربات التي تجرها الخيول تمثل رتلا وهميا من الجنود لجذب انتباه البوير، لكن ريديك أمدني بالقليل من الرجال لتنفيذ المهمة وإحكام الخدعة.. وكان من المخطط أن تسلك القوة الرئيسية طريقا آخر لتظفر بهم إذا انطلت عليهم الحيلة وشنوا هجوما علينا. كانت خطة جيدة لكننا بالطبع أخذنا تدابيرنا حتي لا نباد عن بكرة أبينا قبل بدء الهجمة الرئيسية، ومن ضمن الجنود الذين خصصوا لي اثني عشر جنديا من فرقة خيالة بيلتون. لم يتح لهم الوقت لتمرس الحرب وافتقروا إلي الحنكة والدراية بالقتال. لم أكن أعلم ذلك وإلا لبادرت برفض إشراكهم. دعينا نعود إلي صلب الموضوع. شن البوير هجوما علينا قبل الوقت الذي قدرناه. كنا نأخذ قسطا من الراحة لتناول الطعام حين حدث كل ذلك فأصدرت أوامري علي الفور بالتقدم. وقع هرج ومرج ولم أفلح في أن أسوس وأثبت قلوب هؤلاء الفتية غضي العود قليلي البأس. أحدهم أبي أو لم يقو علي امتطاء جواده . أعتقد أن الخوف شل حركته فأصابه التشنج والتيبس. أمر مثير للشفقة. حدث كل ذلك في غمضة عين وحل الارتباك . من الصعب عليك أن تفهمي ماحدث، لكن كاد الميزان أن يختل وتفلت من يدي زمام الأمور. أعطيت أوامري للخيالة بالالتحام وبقي السؤال هل يمتثلوا أم يعلنوا العصيان والتمرد. أخرجت مسدسي من غمده. لن أنسي وجه هذا الشاب. لقد كان كافيا أن يجرد كتيبة بأكملها

من جنودها ويدفعهم إلي الفرار من المعركة. ناشدتك الله أن تفهمي ما أقوله فلا يمكنني أن أخوض في غمار هذا الأمر مرتين. كان يدعي ولتر لِيلِي. ربما كان تصرفي خاليا من الشفقة لكني فعلت الصواب، فعلت ما كان علي أن أفعله. لقد أطلقت علي رأسه النار.

إيلا **"تهب واقفة"**
قتلته؟ قتلته؟ أنت؟

جريج أجل. امسكي عليك لسانك وتعقلي.

إيلا وكأن الكلمات تجدي نفعا.

جريج ألا تهم الكلمات؟ ألا تهم؟ قد تجعليني بائسا أبدا ماحييت بكلمة.

إيلا قاتل.

"تسود فترة صمت وجيزة"

جريج لا. أنت محقة، إنها محض كلمة. ماذا أيضا في جعبتك؟ وماذا انتظر الآن؟ صعب عليك أن تمسكي بخيوط الحكمة والإحسان في آن واحد. أغلقت كل السبل ولم يصل المدد. تستطيع الحقيقة ولا شيء سواها أن تمد يد العون لتنشلنا مما نحن فيه.

إيلا امضي. امضي.

جريج ليس الآن. ليس بعد. يجب أن أقول شيئا. كيف أذهب تاركا تلك الصورة عالقة بذهنك. أعلم أنك لست قاسية وأنك سترثين لحالي. كل ما أنشده هو الإنصاف. كان الأمر أكبر مني. لم أضغط علي الزناد لغرض او مأرب. كم من المرات تردد ذلك في نفسي. نعم، لقد فعلت ذلك من أجل إنجلترا. حسن. لقد قلت ماعندي ولا أدري هل أحسنت التصرف بإخبارك أم جانبني الصواب فيما فعلت؟ أنا في حيرة من أمري وأضيع وقتا ثمينا. فقط أردت تبرير موقفي فربما تفوهت بشئ فيعلق بذهنك

وتفكرين فيه مليا...هل يكتنف كلامي الغموض؟ لابأس. لقد انتهي الأمر بالطبع، وعلي أن أذهب، لكني لا تنظري إلي هذه النظرة المتدنية.

إيلا لقد خدم ولتر إنجلترا أيضا. آه! إنك لا تفهم وقع هذا الأمر علي. لابد لنا أن نبتعد فكلانا قاتله، كلانا مذنب.

جريج كلانا؟

إيلا لقد جعلته يرحل. كنت أعلم أن الشجاعة تنقصه. لقد ذهب ليسترضيني. كنت أحثه علي جهاد نفسه. ألم تكن تلك شجاعة منه؟ ألا يعد ذلك شرفا؟ لقد ضحيت به.....ماهذا؟ أحس بحركة. عليك بالصمت. إنها السيدة لِيلِي. يجب ألا تعرف شيئا علي الإطلاق. هل يمكن أن نودع هذا السر طي الكتمان؟

جريج لن يفشي سره. لقد شكلت لجنة تحقيق خاصة، وأقسم الحاضرون علي سريته. قضي البعض نحبه لكن الباقون علي قيد الحياة أبروا بقسمهم، فإذا سولت لأحدهم نفسه بالثرثرة لدي من الرجال من أثق بهم يمكنهم المعارضة والنفي. أما أنا فسأحترم سره ماحييت بل إني علي استعداد أن أقسم علي الكتاب المقدس أنه مات موتا بطوليا.

إيلا أجل. أجل. لقد حارب ومات ببطولة. يال الفاجعة. أكاد لا أحتمل تصور منظره حين خار وجبن، لكني أفهم حقيقة الشعور الذي انتابك في هذه اللحظة.

جريج دعيني أستحضر تفاصيل المشهد لعلك تفهمين. لقد ضيق الخناق علينا فأدركت أن إخفاقنا يودي بنا إلي هوة سحيقة وكارثة كبيرة. لقد كان الأمر برمته يتوقف علي نجاحنا. إنني لا أسوق الحجج وحسب بل إني علي أهبة الاستعداد أن أخرج كل نافي صدري. كنت علي يقين أن ماأقدمت عليه أمر جلل. وحقيقة لم أفند أحاسيسي في أعقاب تلك الواقعة لكن في بعض الأحايين يتملكني شعور بأنني في مصاف المجرمين.

إيلا عليك بالصمت الآن.

"تدخل السيدة لِيلِي وبإحدى يديها صورة"

السيدة لِيلِي معذرة. كنت أخشي أن يغادر الرائد جريج قبل أن تسنح لي فرصة التحدث إليه، لكنك ستبقي لإحتساء الشاي.

جريج **"ملتفتا إلي إيلا"**
متأسف ولكني سأنطلق من فوري ياسيدة لِيلِي.

السيدة لِيلِي حسن. عد إذن لتناول العشاء معنا، فالدراجون مكان كئيب في المساء. إيلا

"تلتفت ناظرة إليها لبرهة"
لابد أن تقنعي الرائد جريج بالحضور.

إيلا إذا كنت لا تستطيع ياعزيزي...

السيدة لِيلِي "تنظر إليهما بالتناوب دون أن تنبس ببنت شفه ثم تنظر إلي الصورة التي تحملها. لقد كنت في جنوب أفريقيا ياسيادة الرائد جريج؟

جريج لمدة عامين تقريبا.

السيدة لِيلِي بالطبع إنها بلاد شاسعة. أتدري لقد فقدت ابني هناك. ربما أخبرتك إيلا بهذا الأمر.

جريج لقد حزنت لسماع ذلك يا سيدة لِيلِي.

السيدة لِيلِي **"بتطلع وتشوق"**
هل قابلته؟ هل كنت تعرفه؟ لقد كان في خيالة بيلتون واسمه ولتر لِيلِي.

جريج لا. لأعتقد أني قابلته.

السيدة لِيلِي لدي صورة ألتقطت له قبل رحيله. ربما أمكنك..

"تناوله إياها"

جريج **"يأخذ الصورة وبعد وقفة وجيزة"**
لا. كنت تذكرته علي الفور.

السيدة لِيلِي لا نعرف أبدا علي أي نحو لقي مصرعه ياسيادة الرائد وهو أمر صعب كما تري، أليس كذلك؟ أخبرونا بكل مالديهم، لكنه كان قليلا. لقد سقط قتيلا في معركة إيدردروب. أعلم أنه مات موتة بطولية لكنني كنت أبغي معرفة المزيد. لا أتبرم من التضحية التي قدمتها فشأني في ذلك شأن كثير من الأمهات. حسن. اعتقدت أنك ربما سمعت شيئا عنه والآن قضي الأمر.

جريج **"يتقدم ببطئ واضطراب بينما مازال ممسكا بالصورة"**
سيدة لِيلِي. حسبه وازعه الكريم الذي حدا به للذهاب هناك ليخدم وطنه ويموت من أجله. ما جدوى أن تعرفي إذن كيف سقط. هذا أمر لا يهم ولا يعني الكثير. لقد ذهب وفعل ما بوسعه. وأحيانا ما يختلط النجاح والفشل وتتشابك خيوطهما. هناك موت هين يوهمك بالغبطة في هيئة وصورة صاحبه وهناك شكل آخر من الموت الشائع وهو موت خسيس وبغيض. لا أريد أن أميز بين هذا وذاك فكلهم كانوا رفقاء السلاح.

"يناولها الصورة"

السيدة لِيلِي يروق لي أن أعتبرك رفيقه.
"ينحني الرائد جريج فترد السيدة لِيلِي عليه بانحناءة وتنتقل ببصرها بينهما ثم تنصرف"

جريج اشعر أنه من المستحيل أن أرحل ومن المستحيل أن أبقي.

إيلا يجب ألا تعرف السيدة شيئا علي الإطلاق. سيكون الأمر فظيعا لها.

"تنهض"

جريج ولك أيضا.

إيلا أشعر بالأسف حيال الموقف الذي تمر به الآن، لكن لا، سيكون وقع الأمر عليها أسوء بكثير مقارنة بي. والآن وبما أنك تهم بالرحيل أود أن أسحب بعض ماتفوهت به من كلمات. عادة لا أفعل ذلك لكن لن أراك مرة أخري ولا أريد أن يزعجك التفكير فيما تلفظت به.

"تتهيأ لاستئناف حديثها"

أجل لقد فشل في الاختبار بينما كنت أنت صلدا ومريعا. لقد فقته ويحملني ذلك علي الامتعاض فأنا لا أحب الرجال شديدي البأس والتحكم لكني لا أخشاهم بالكلية. لا أعرف صحة ما أقوله تماما ...لكن لماذا لا ترحل؟

جريج الوداع إذن؟

"تجلس إيلا وتشيح نظرها بعيدا عنه. يتناول جريج قبعته وعصاه ثم يتجه صوب مدخل الحديقة. يتوقف هناك وقفة قصيرة ثم يعود أدراجه قائلا بنبرة يكسوها الحزم والجزم"

لا!

"تهب إيلا من مكانها ملتفتة حولها بينما يضع جريج قبعته وعصاه"

إيلا ما هذا؟ ماالأمر؟

جريج لقد قررت ألا أذهب. لم ينته كل شيء.

إيلا لا أفهم ماذا تعني بقولك هذا. هل فقدت صوابك؟

جريج بل إني أتمتع بكامل قواي العقلية مثلك تماما.

إيلا ياإلهي. دعني وشأني، لا أستطيع تحمل المزيد.

جريج بل يجب أن نحسم هذا الأمر الآن. من الحمق أن أتركك ومن الحمق ألا أعود إليك. ما سبب كل هذا؟ هل تكون نهايتك علي يد ذكري هذا الشاب المسكين. لا، قد أستسلم لرجل لا لشبح،

لقد رأيته وخبرته. ولت أيام غرارتك وتهورك، تلك الأيام التي تبنيت فيها شابا لين وهن. بعد كل هذا العنت. لا يجب أن نجابه كل هذا معا. إن لم أفعل ذلك فقد أفقد صوابي عن حق وتخيم علي ظلال الكآبة، فلا تتركيني أسقط في حبائلها. لا تتركيني وحيدا.

إيلا لا أحتمل سماع هذا الكلام.

جريج يجب أن تسمعي. لابد أن تصغي إلي. هذه هي فرصتك بل فرصتنا. أخاطب فيك الحكمة وأنشد فيك الفطنة. ثم وبغض النظر عن العقل والمنطق فأنا حبيبك إن لم يكن في حياتك شخصا آخر. ياعزيزتي، استفتي قلبك بصراحة وأمانة الآن. لا تفكري في هؤلاء الذين يدينونك بل فكري في أنا ومدي لي يد المساعدة. اختاري الحياة وولي ظهرك للموت فلقد كاد كلاهم ا أن يختلط بالآخر في عقلك. دعك من هذه السيدة الكبيرة العزيزة. لا تقتفي أثرها فيما تفعل ولا تضربي علي منوالها فتعيشي مثلها علي الصور وبعض الخرق البالية وخصلات الشعر. لدي أفضل من ذلك .

إيلا مستحيل.

جريج كلا. إنه منعطف شديد الانحدار ، نقطة تحول، تحدي لقدراتك وكياستك، اختبار لشخصيتك.

إيلا ماذا تقصد؟

جريج هل سمعت عن نساء السابين الذين سكنوا إيطاليا قبل الرومان؟ تقول الأسطورة التي تشتمل علي قدر كبير من الصحة أن الرومان قتلوا الرجال عن بكرة أبيهم وتزوجوا نسائهم. وكم من المرات قتل القوي الضعيف في سعي حثيث ليفوز بالأليفة والخليلة. هل تحسبين ذلك وقاحة؟ ربما بدا الأمر كذلك لأي فتاة عادية، لكنك مختلفة. اسمعيني نحن نعيش في عالم شاسع وعندي من الجرأة أن أعلن بأن نظرائي ليسوا أندادي، ولعلك تفهمين يوما مقصدي. صحيح أنني قتلت هذا الشاب المسكين

وإنه لأمر يدعو إلي الشفقة لكن أخبريني بالله عليك ماذا يمثل هذا الشاب لنا الآن؟ ينبغي عليك أن تفكري في أنا، فلست أقل منه...أرجو أن تغفري تلك الهفوات التي صدرت عن نفض شديد لعقلي وهز عنيف لما يختلج به قلبي.

إيلا **"بتمهل"**
لا يمكن للمرء أن يتخلص من ذكرياته ومشاعره علي هذا النحو.

جريج هذا هو ما أردت بالضبط أن تناقشيني وتجادليني.

إيلا لكن هذه القضية محسومة لا تتطلب التفكير.

جريج علي النقيض.

إيلا أود أن أعاملك بعطف ومودة ولكن...

جريج ولكن هذا تنازل تخشين تقديمه.

إيلا لقد أصبتني بالذهول فكيف يتأتي لي أن أعقل أو أتدبر؟

جريج لما لا تتركين الأمر لفطرتك وسليقتك؟

إيلا لقد توالت الأحداث سراعا ولا يمكنني أن أجاريها أو أن أضبط إيقاع حياتي علي خواطر وشوارد العقل.

جريج بل يمكنك أن تفعلي ذلك.

إيلا لما! إنك تذكرني بريتشارد الثالث في المسرحية المعروفة بينما ألعب أنا دور الليدي آن البائسة فهل تعد العدة لتكون لك الغلبة وتشمت بي.

جريج بل لا ترين مني سوي الحياء والاحتشام . دعينا فقط نثق ونؤمن بأنفسنا.

إيلا الذكر الذي يتغلب علي الجميع ويكسر شوكتهم.

جريج إنك تتملصين من الرد ولأعتقد أنك تنظرين إلي علي هذا النحو.

إيلا **"بعد برهة"**
أعتقد أنني أفهم وأستطيع تبين وجهة نظرك لكني لا أري هذا الأمر ممكنا.

جريج **"مقاطعا"**
ولما لا؟

إيلا حسبك. لقد كدت أوهم نفسي بالموافقة. نعم أري مثلك أنها فرصة كبيرة، لكن كلا الخيارين مر ويجلب علي الشقاء. لو اقتصر الأمر علي اللحظة الراهنة لكانت لك الغلبة لكنه لا يتوقف عندها بل يتعداها إلي السنين المقبلة ، وحتما سيفتر خلالها حماسنا الثائر وينضب معين بلاغتك وفصاحتك التي توقظني من سباتي. ستشرق علينا شمس أيام حبلي بالرتابة ويتسلل إلي عقولنا فيها التفكير فيما مضي ولن أجدك بجواري طيلة الوقت.

جريج بالطبع يجب أن نتحمل بعض المخاطرة.

إيلا بل وقد يفجر ماتأتي به من لملم القول والفعل حنقي فيندفع كالحمأة التي تضطرم ولا نراها في بطن الثري.

جريج سنتحمل المخاطرة.

إيلا لن يكون الأمر سهلا.

جريج كل ماذكرت أمور هينة تتبخر وتتلاشي فلا يبقي لها أثر، ومعا سوف نطوي هذه الصفحة من حياتنا. سنذهب حيث تشتهين ونفعل ماتبغين. إنني أعرض عليك السعادة: البيت والأطفال.

إيلا لن أفعل. لن أفعل.

جريج هلمي.

"يمسك بيديها ويجذبها نحوه. تطاوعه للحظة ثم تنفلت منه في اتجاه الباب"

إيلا **"باكية"**
أمي! يا أمي!

جريج من تنادي؟ ماذا تريدين؟

إيلا يجب أن أخبرها. يجب أن أخبرها بكل شيء.

جريج من؟

إيلا إنني أدعوها أمي.

جريج ماذا! ماذا تعنين؟

إيلا كدت أنقاد إليك وأذعن لك، لكن لا، لن أستسلم.

جريج لكن السيدة لِيلِي؟ لقد نسيت أنها...

إيلا عندما أخبرها أصير في مأمن منك ولن أجرأ علي الخوض في هذا الأمر.

جريج لكن فكري فيها!

إيلا ونفسي! سأفكر في نفسي. أريد أن أملك زمامها. أريد أن أختلي بها.

جريج سأتركك إذن.

إيلا وتعطي وعدا بألا تعود؟

جريج لا.

إيلا سأخبرها إذن.

جريج هذا أمر رهيب يصعب تصوره. لا يمكن أن تفعلي ذلك.

إيلا هل تعدني؟

جريج لا.

إيلا **"تتجه شطر الباب مرة أخري"**
أمي، تعالي يا أمي!

جريج **"يشدها للخلف"**
يجب ألا تفعلي ذلك. لا تفعلي ذلك.

إيلا **"باكية"**

لقد قتله! قتل ولتر. قتل ولتر.

جريج توقفي. توقفي. أرجوك. أتوسل إليك. لايمكنني تحمل ذلك. سأذهب. سأتركك. أعدك. افعلي أي شيء إلا هذا الأمر. ليس هذا من الإنصاف. إنها قادمة.

السيدة لِيلِي **"تدخل مسرعة. تنهار إيلا وتنخرط في البكاء"**

ماذا حدث يا إيلا؟ ما الأمر؟ إنك تبكين وسمعت اسم ولتر. ما الأمر؟

إيلا ساعديني. ساعديني.

جريج **"يقف بجوار إيلا"**

يا سيدة لِيلِي، أنا رجل عاثر الحظ. لقد سبب لها كلامي الضيق. من الخزي والعار أن تستدعي إلي هذا المشهد. الخطأ خطأي. لا يمكنها التضحية كما يفهمها ويقدمها الشخص المثالي. لقد سببت لها الإزعاج والامتعاض وقد نلت نصيبي من العقاب. يجب أن أمضي لحال سبيلي ولن أعود.

السيدة لِيلِي لقد كنت آمل ياعزيزتي إيلا...

إيلا مستحيل.

جريج الوداع ياسيدة لِيلِي. لن أنسي كرمك ما حييت.

"يتجه صوب المقعد الذي تجلس علي إيلا"

الوداع إذن.

"ترقبهما السيدة لِيلِي ثم تغادر الحجرة في عجالة"

إيلا الوداع.

جريج آخر ما أتفوه به هو أنك سوف تدركين يوما أنني كنت علي صواب، وقتها سوف تنأين عن الازدراء والاستياء . لن أزعجك بعد اليوم. وسأعيش دائما علي أمل كلمة تصلني منك.

إيلا **"تنهض"**

أي شيء دون هذا الأمر. كل شيء سواه.

جريج ماذا تعنين "بكل شيء"؟

إيلا لا أخفي إعجابي بك فأنت رجل ذو شأن وباس لكن ضعفي لا يرقي إلي غاياتك العليا. لست جديرة بك، أري ذلك الآن بوضوح. لم أعد أحس بالخوف منك. لقد كانت فكرة إخبار السيدة لِيلِي قاسية ومجنونة لكن الله عافي تلك السيدة المسكينة وجنبها شر هذا الأذى.

جريج لا تخافين مني الآن؟

إيلا لا. لا أخافك.

جريج إذن لن تمنعيني من رؤيتك.

إيلا لا! لا أحتمل خوض هذه التجربة مرة أخري.

جريج الوداع.

"يتناول قبعته وعصاه ويمشي الهوينى في اتجاه الحديقة ويلتفت خلفه – تدخل السيدة لِيلِي "

السيدة لِيلِي لقد رحل.

إيلا أجل.

السيدة لِيلِي أجبرتيه علي الرحيل؟

إيلا نعم.

السيدة لِيلِي لكن ياعزيزتي إيلا، لقد كان هذا الأمر من شأنه إسعاد ولتر في مثواه. وأحسب أنه مثل صدمة له كما هو الأمر بالنسبة لي. فكري يا إيلا بأن ولتر أيضا ينشد سعادتك.

إيلا آه، ياعزيزتي، إنك لا تعلمين ما تقولين.

السيدة لِيلِي حسن. ربما يعود.

"تمشي إيلا مشيا حثيثا باتجاه النافذة ثم تتوقف وتطل منها تلقي ببصرها وترنو بنظرها هناك.

سبعة قصص قصيرة

بيانات القصص والمؤلفين:

Petronius (1st Century A.D.)The Widow of Ephesus Translated By William Arrowsmith
القصة لا تنتمي إلي الأدب الأنجلو-ساكسوني إلا من خلال النص الإنجليزي المترجم الذي قدمه وليم أروسميث

By William Schwenk Gilber (1863-1911), Angela

Richmal Crompton (1890-1969), The Christmas Present

Fanny Kemble Johnson(1868- ?), The Strange-Looking Man

Lucy Maud Montgomery(1874-1942) , Lilian's Business Venture
الكاتبة في الأصل كندية لكنها ارتبطت بالولايات المتحدة الأمريكية

Kate Chopin (1851-1904), Regret

C.A. Mercer, The Garden of Memories

أرملة إيفاسز

فيما مضى في مدينة إيفاسز كانت هناك زوجة اشتهرت بإخلاصها لزوجها حتى أن العديد من نسوة المدن و القرى المجاورة اعتدن أن يحتشدن فقط ليحدقن بهذه المرأة الاستثنائية. بعد موت زوجها وجدت هذه السيدة أن العرف الشائع بأن تسير الأرملة وراء المشيعين منكوشة الشعر ضاربة صدرها بيديها غير كاف للتعبير عن حزنها، فأصرت على إتباع الجثة إلى القبر، وهناك جلست لتحرس الجثمان وتبكى وتنوح ليلا ونهارا.

وبالرغم من شدة حزنها إلا أنه كان من الجلي أن موتها سيكون من التضور جوعا، ولم يستطع على الإطلاق والديها أو حتى الحكام إقناعها بالمغادرة وذهبت سدى آخر محاولة لإقناعها. وفى وقت قصير أصبحت كل إيفاسز في حداد على هذه المرأة الخارقة.

انقضي اليوم الخامس على التوالي والسيدة بدون طعام، إلى جوارها خادمتها المخلصة تشارك مخدومتها الحزن وتعيد إشعال المصباح كلما انطفأ وميضه.

استقر الرأي لدي العامة على أن هذه السيدة تعد بمثابة مثال حقيقي للحب والإخلاص الزوجي.

وفى غضون ذلك أعطى حاكم المقاطعة أوامره بصلب بعض اللصوص وكان ذلك بالقرب من المدفن الذي تقبع فيه السيدة مع جثة زوجها المتوفى حدادا عليه.

في الليلة التالية لاحظ الجندي الموكل بحراسة الصلبان (حتى لا تتأتى الفرصة لأي شخص لنزع أيا من المصلوبين ودفنهم) لاحظ ضوء يتوهج بين القبور وسمع صوت أنين فلندفع بغريزة الفضول البشرى، وهبط إلى المدفن لمعرفة من وما الذي يصدر هذه الأصوات!

ولكن ... المشهد الأخاذ للمرأة الجميلة أوقفه لبرهة في رعب معتقداً أنها الأشباح القادمة من الجحيم ، لكن لم يلبث أن لاحظ الجثة ورأى انسياب الدموع على وجه المرأة و كذلك ندبات و جنتيها العميقة من أثر نبش أظافر يديها.

وهنا أدرك أنها أرملة في حزن لا عزاء له و جلب على الفور وجبة عشاءه البسيطة ، وعاد للقبر ، وناشد السيدة بأن لا تستمر في حزنها وألا تستمر في حداد غير مجدي ، وذكرها بأن كل الناس ستؤول لنفس المصير و أن نفس المكان ينتظرنا جميعاً ، واستحضر باقتضاب كل الأقوال المعتادة التي تستخدم لتقليل المعاناة ليعيد لها الأمل في الحياة .

ولكن..... كلمات عزاءه كانت غير مقبولة وزادت من سخط الأرملة فازدادت قسوة في ضربها لصدرها، وانتزعت شعر رأسها من جذوره و بعثرته فوق جثمان زوجها المتوفى .

أعاد الجندي ترديد كلماته و ضغط عليها لتأخذ بعض الطعام وخارت قوى الخادم ة الصغير ة عندما أشتمت رائحة الخمر ، فاستسلمت ، وخضعت للإغراء ، وبعد أن استعادت قوتها بالطعام والخمر ، بدأت تهاجم رفض مخدومتها الشديد ، فسألت السيد ة : بماذا سيفيدك حزنك إذا فقدتى الوعي من الجوع ؟ لماذا تدفنين نفسك و أنت مازلت على قيد الحياة ؟ أتلقين بنفسك للموت قبل أن يناديك القدر؟ ماذا قال فيرجل؟ "هل تظن أن أرواح رفات الموتى تستشعر حزنك ؟!" لا.... ابدئي من جديد ، و تخلصي من وساوس المرأة ، استمتعي بالحياة على قدر المستطاع ، تأملي جثة زوجك المسكين ! ألم تخبرك بفصاحة أبلغ من أي كلمات بأنه يجب أن تعيشي حياتك ؟! يجب علينا أن نأكل لكي تستمر الحياة.

لم تعترض السيدة فقد كانت منهك ة القوى من جراء صيامها الطويل وفى النهاية انهارت مقاومتها، وتناولت الطعام الذي عرضه الجندي عليها بنهمٍ يفوق خادمتها الصغيرة التي سبقتها إلي الأكل.

حسناً.. كلنا يعلم ما الإغراءات التي تثير الرجل ممتلئ المعدة!

لذلك فقد حشد الجندي كل وسائل الإغواء الممكنة لإقناع السيد ة بالعودة للحياة فقد كان عاقد العزم على محاصرة و قهر العفة التي تتمتع بها المرأة ، ومع ذلك ظلت مستمسكة بعفتها إلي أن سحرها بجاذبيته وقدرته علي الإقناع .

وبالنسبة للخادمة فقد فعلت كل ما في وسعها لمؤازرة الجندي في ذلك فظلت تستشهد ببعض سطور تناسب المقام لفيرجل يقول فيها

"إذا استأذنك الحب"، سيدتي "فاستسلمي له".

وباختصار تخلى جسد السيدة عن المقاومة ، واستسلمت ، واستمتع الجندي السعيد بما كان يتوق إليه إلي أقصى درجه ففي هذه الليلة تم زواجهما ، و اضطجعا معاً و تكرر هذا في الليلة الثانية والثالثة أيضا ، فكان الجندي يوصد باب القبر بحرص ليعتقد كل مار غريب كان أم قريب أن السيدة المشهورة قد لفظت أنفاسها الأخيرة فوق جثمان زوجها المتوفى.

لنا أن نتخيل سعادة الجندي المحظوظ مع هذ ه السيدة الوافرة الجمال ذات الفتنة الخاصة والتي منحته الحب ، فكل ليلة بعد مغيب الشمس كان الجندي يشترى بعض المؤن من راتبه الضئيل، ويقوم بتهريبها أسفل القبو.

وذات ليلة لاحظ والدي أحد اللصوص المصلوبين أن الحراسة لم تع د مشددة فاستغلا ميزة غياب بطل قصتنا (الجندي) ، وأنزلا جثة أبنيهما من على الصليب و دفناه.

في الصباح التالي بالطبع أصاب الجندي الهلع حين اكتشف غياب الجثة من على الصليب ، فهرول ليخبر السيدة عن العقاب الشديد المنتظر من جراء تقصيره في أداء واجبه ، و أخبرها بأنه في هذه الحالة لن ينتظر المحكمة والعقاب، ولكنه سيعاقب نفسه بنفسه،

وكل ما طلبه منها أن تجد متسعا لجثة أخرى في نفس المقبرة المظلمة لتضع فيها حبيبها وزوجها معاً.

(ولأن قلوب النساء لا يوجد أرق منها و لا أوهون منها)

بكت السيدة قائله: يا الله هل يتحتم على أن أري دفعة واحدة جثتي أكثر رجلين أحببتهما؟!
لا ... هذا مستحيل ... فالحيي أبقي من الميت.
ويعني ذلك أخذ رفع زوجها من التابوت لتوضع علي الصليب الخالي، وهذا ما نفذه الجندي .

في الصباح التالي اعتري سكان المدينة العجب حين رأوا جثة الزوج المتوفى على الصليب.

أنجيلا

أنا رجل فقير مصاب بالشلل ، مكثت أسير فراش أو أريكة لسنوات عديدة أقطن حجرة صغيرة منذ ست سنوات تطل على إحدى قنوات فينيسيا ، ولا يوجد أحد معي سوى سيدة عجوز صماء ترتب فراشي وتعد لي الطعام. هناك أجني دخلاً ضئيلاً، حوالي ثلاثون جنيهاً في العام وذلك من رسم لوحات أزهار وفواكه بالألوان المائية (وهى تمثل النماذج الزهيدة في فينيسيا) حيث أرسلها إلى صديق في لندن فيبيعها لتاجر مقابل مبالغ صغيرة. لكنني علي أي حال راض و ممتن لما أنا فيه.

من الضروري أن أصف موقع ووضع غرفتي بصورة أكثر دقة. فنافذتها الوحيدة على ارتفاع خمسة أقدام من القناة، و يبرز المنزل فوقها بمسافة ستة أقدام حيث يطل على الماء، ويرفع الجزء البارز دعامتان قويتان مثبتتان بقاع القناة وهذا التكوين لا يوفر أي ميزة بين المنازل الأخرى حيث أنه يحد من الرؤية العلوية ، فلا يمكنني رؤية أكثر من عشرة أقدام من ارتفاع المنزل المقابل لي مباشراً، على الرغم من أنني إذا مددت جسمي خارج النافذة لأبعد مسافة تسمح بها قوتي الواهنة، فإنه يمكنني الرؤية علوا وانخفاضا لمسافة لا بأس بها لا تتعدي خمسة عشر قدما.

وعلى الرغم من أنه يمكنني رؤية القليل من المنزل المقابل، إلا أنني استطيع رؤية انعكاسه المقلوب على صفحة الماء، وأحظى بقدر جيد من الاهتمام

بأفراده كلما لاحو ا من آن لآخر. (دائماً في وضع عكسي) في شرفاته و نوافذه.
عندما سكنت حجرتي في البداية منذ ستة أعوام، أثار انتباهي انعكاس فتاة صغيرة تبلغ من العمر قرابة الثلاثة عشر عاماً (على حد ظني) تطل كل يوم من الشرفة التي تعلو مباشرة المجال المحدود الذي يمكنني رؤيته، ومعها إناء زهور زجاجي وصليب موضوع على طاولة صغيرة بجانبها، حيث تجلس هناك عندما يكون الطقس جيداً من الصباح الباكر وحتى الظلام، تعمل بكد طيلة الوقت. استنتجت أنها تتكسب دخلها من أشغال الإبرة. كانت حتماً فتاة صغيرة مجتهدة و كانت جميلة و أنيقة الملبس على ما يخيل لي من انعكاسها المقلوب على الماء. كان لديها أم مسنة مريضة وكانت تحب الجلوس معها في الشرفة في الأيام الدفيئة وكانت الفتاة تثير اهتمامي عندما تدثر السيدة العجوز بالشال وتحضر الوسائد لمقعدها و مقعد أخر لأرجلها، و بين الحين والآخر تترك عملها جانباً كي تقبلها و تدللها لنصف دقيقة ثم تعاود العمل مرة أخرى.

مرالوقت و كبرت الفتاة و نما معها انعكاسها وأصبحت في النهاية بمثابة امرأة صغيرة في السادسة أو السابعة عشر من عمرها على ما أظن. كان لدى متسع من الوقت لأراقب حركاتها، حيث أعمل ساعتين فقط في الصباح الباكر. إن خيالي كان يكفى لأنسج قليل من الرومانسية تجاهها و أنعم بجمالها الأخاذ. رأيت ..... أو تخيلت أنى أرى ......إنها بدأت تهتم بانعكاسي. (الذي تستطيع ، بالطبع، رؤيته كما يمكنني رؤية انعكاسها، وفى أحد الأيام، عندما شعرت إنها تنظر مباشرة تجاهي .....أي عندما كان انعكاسها يبدو ناظراً إليّ مباشرة .....حاولت بائساً أن أومئ لها برأسي ، و غمرتني السعادة عندما أجابني انعكاسها بإيماءة. و بذلك أصبح انعكاس كل منا معروفاً لدى الأخر.

لم يمضى وقتاً طويلاً حتى وقعت في غرامها ، استغرقت الكثير من الوقت كي أتخذ قراراً بأن أقوم بما هو أكثر من مجرد إيماءة لها كل صباح ، كان ذلك عندما نقلتني المرأة العجوز من فراشي إلى الأريكة عند النافذ ة ثم نقلتني مرة أخرى في ذات اليوم في المساء عندما غادرت الفتاة الشرفة.

ذات يوم عندما شاهدت انعكاسها ينظر إلى انعكاسي أومأت لها برأسي ثم ألقيت زهرة في القناة ، فأومأت برأسها عدة مرات في المقابل ثم ر أيتها تلفت انتباه والدتها لما حدث.

وبهذا أصبحت ألقى كل يوم زهرة في الماء بقصد "صباح الخير" وأخرى في المساء تعنى "تصبحين على خير". ثم أدركت بعد فترة وجيزة أنني لم أكن ألقى زهرة عبثاً حيث أنه ذات يوم ألقت زهرة لتلحق بزهرتي ثم ضحكت وصفقت بيديها عندما رأت الزهرتين تتعانقان وتطوفان بعيداً معاً. وهكذا صارت تلقى زهرتها كل صباح ومساء عندما أرمى زهرتي وكانت تصفق بيديها عندما تلتقيان وكذلك أنا أيضا وعندما يفترقا كما كان يحدث أحيانا إذا قابلت إحداهما عقبة تعوقها عن الأخرى، فإنها تلقى بيديها لأعلى في تعبير جميل يدل على اليأس حاولت أن أقلدها فيه لكن جاء بطريقة إنجليزية ركيكة. وعندما كانت المياه تجرفها أسفل الجندول (كما كان يحدث نادراً) فإنها تمثل البكاء و كذلك أنا أيضاً ثم نشير بالبانتوميم علي نحو يفتقر إلي الإتقان أن القدر سوف يكون رحيماً بنا في المرة القادمة و ستصبح زهرتينا أكثر حظا.

استمرت علاقتنا البريئة و في أحد الأيام أرتني الصليب و قبلته فأخذت صليب فضي صغير كان معي دائماً و قبلته وبذلك أدركت أننا نعتنق ديناً واحداً.

ثم جاء يوم لم تظهر فيه الفتاة في الشرفة ولم أرها قط لعدة أيام، وعلى الرغم من ذلك دأبت علي إلقاء زهرتي كالمعتاد إلا أنه لم تأتي أزهار لترافقها. ظهرت الفتاة مرة أخرى متشحة السواد وباكية أغلب الأحيان. علمت بعدها أن والدة الفتاه المسكينة قد توفيت وأنها على حد معرفتي أصبحت وحيدة في هذا العالم.

لم تأت الزهور عدة أيام، و لم تظهر أي علامة تدل على الود والاهتمام، لكنها أنهكت في عملها ولم ترفع عينيها عنه إلا لتمسح دموعها. كان أمامها مقعد السيدة العجوز و كنت أراها من وقت لآخر تترك عملها في شلال من الدموع. أخيراً ذات يوم رفعت رأسها تجاهي و أومأت إلى، ومرت الأيام وعادت زهرتي وأبحرتا معاً بعيداً لما هو مقدراً لهما من قدر متغير كما كان الحال من قبل.

لكن اليوم الأكثر ظلمة لي على الإطلاق كان عندما أتى شاب صغير وسيم يعمل على جندول ووقف على يمينه (حيث يمكنني رؤية جسمه) بجانب المنزل متحدثا معها أثناء جلوسها في الشرفة.

كانا يتحدثان كصديقين حميمين بالفعل، (على حد ظني) وظل ممسكاً بيدها طوال الحديث الذي استمر قرابة نصف ساعة وفى النهاية مضى مبتعداً تاركاً

قلبي مشتعلاً بداخلي . ولكنني سريعاً شعرت بارتياح بعدها عندما غاب عن نظري وألقت الفتاة الصغيرة زهرتان ناميتان على ساقٍ واحد وفسرت ذلك بأنها تريد إخباري بأنه أخوها وأنه ليس هناك داعٍ لحزني. ومن ثم أومأت لها بسعادة وأومأت هي إليّ ثم ضحكت بصوت عالٍ وضحكت رداً عليها وعاد كل شيء كما كان سابقاً .

ثم جاء وقت مظلم كئيب، حيث تحتم علي أن أخضع لعلاج قيدني تماماً في فراشي لعدة أيام وأصابني القلق والغضب لإعتقادى أنني لن أرى فتاتي مرة أخري، وخشيت أن تظن أنني رحلت إلى مكان بعيد دون أن أعلمها بعزمي على ذلك. وثبت مستيقظاً في الليل أفكر في طريق لإخبارها بالحقيقة ودار ت بخاطري خمسون خط ة بدت جميعها منطقية في المساء لكنها تحولت في الصباح إلى أفكار غريبة وغير عملية.

ولمدة ثلاثة أسابيع من ملازمة الفراش ، كانت تترك زهرة على إفريز النافذ ة الذي يمكن الوصول إليه بسهولة بواسطة قارب، وأخيراً جاء اليوم الذي تمكنت فيه من ترك الفراش، وأخذت مكاني المعتاد على الأريكة عند النافذة، ورأتني الفتاة الصغيرة، فنهضت و تتحدث ثم صفقت بيديها في فرح وسعادة تعدل فرحتي وسعادتي .

بعدها سار صاحب الجندول في اتجاهي فلومأت إليه وعندما اقترب مني أخبرني أنه سعيد حقاً لرؤيتي بخير مر ة أخرى . فشكرته هو و أخته على مشاعرهما الرقيقة تجاهي أثناء فترة علاجي. أخبرني حينها إن اسمها أنجيلا ، وأنها أفضل وأنقى وأطهر عذراء في فينسيا بأكملها، وأن أي إنسان يتمني أن تكون أخته، لكنه ا ليست كذلك فقد تقدم لزواجها.. وأن زفافهما سيتم في الغد .

عندئذ شعرت أن قلبي سينفجر. ظللت لحظات لا أسمع شيئاً سوى صوت الدم المندفع في أوردتي . ثم تمكنت أخيراً من التمتمة ببغض الكلمات الغريبة غير المفهوم ة لتهنئته ومن ثم تركني وهو يشدو في سعادة بعد أن إستأذننى في السماح بإحضار عروسه لزيارتي بعد عودتهما من الكنيسة في الغد.

أضاف "لقد عرفتك حبيبتي أنجيلا لفترة طويلة....... منذ أن كانت طفلة ، وقد كانت دوماً تحدثني عن الإنجليزي الكاثوليكيً الطيب الفقيرالذى كان ظل قابعا لسنوات وسنوات على الأريكة عند النافذة ،وقد كانت تردد دائماً أنها تمنت لو

تحدثت معه لتواسيه ، وعندما ألقيت لها زهرة في القناة ذات يوم سألتني إذا كان يمكنها أن تلقى زهرة أخرى ووافقت لأنك سوف تفهم أنها تعنى التعاطف مع إنسان يعانى ويتألم .

وهكذا علمت أن الأمر كان مجرد شفقة وليس حباً .. شفقة ليس إلا، فالزهرتان المشتركتان في عنق واحد تعنيان أنهما مرتبطان يبعضهما البعض (لكنني لم أستطع فهم ذلك) . لقد عنيإ أن الفتاة وصاحب الجندول خطيبان متحابان ، وأن سعادتي التي عبرت عنها عندئذ سرتها ، لأنها أدركت أنى سعيد من أجلها.

جاء الشاب في اليوم التالي بصحبته قطار من الملاحين ، يتحلون جميعهم بملابس العطلة. جلست أنجيلا تغمرها السعادة متوردة الوجهين ، ثم دخلا المنزل الذي أقطنه، وجاءا إلى غرفتي (كان أمراً غريباً حقاً أن أراها ورأسها فوق قدميها بعد سنوات من صورتها المعكوسة في الماء). تمنت لي السعادة والعافية العاجلة (وهو أمر محال) . بكلمات متهدجة وعيون دامعة أعطيتها الصليب الفضي الصغير الذي ظل بجانب فراشي لسنوات عديدة، فأخذته أنجيلا بوقار وتبجيل وباركت نفسها ثم قبلته وغادرت مع زوجها السعيد .

استمعت إلى غناء الملاحين وهم ينشدون ترانيمهم ، ثم خفت غناءهم كلما بعدت المسافة وتسللت ظلال الغروب فأحسست أنهم إنما يرتلون قداس وفاة الحب الوحيد الذي أسر قلبي .

هدية عيد الميلاد

ألقت ماري كليي نظرة عبر نافذة البيت العتيق الكائن بالمزرعة لتجد مشهدا خيمت عليه الكآبة.... حقول جرداء وأشجار عارية باهتة كساها الندي ولا أثر لمنزل في الأفق. ليست ماري هذا النوع من النساء اللاتي ينشدن الصحبة. أحبت الحياكة وتعلق وجدانها بالقراءة وعزفت عن الكلام، وربما أصابت قدرا وافرا من السعادة في مزرعة "كروم" لو تركت لحال سبيلها. كانت ترنو قبل زواجها إلي الساعات الطويلة التي تقضيها في الحياكة والقراءة. أنهكت في أعمال المنزل المتداعي دون عون خلال النهار، لذا تطلعت إلي المساء بمصابيحه وأجواءه الهادئة الوادعة، لكنها وبعد عشر سنوات من زواجها تخلت –علي مضض- عن الأمل في عودة هذه الأمسيات، فأني لسكينة المساء أن تعشش في مطبخ المنزل حيث يفزعها صوت جون كليي الجهوري بأوامره وشكواه أو قراءته العالية المتعثرة والمتقطعة للجريدة!؟ غلب الصمت علي طبع ماري فنشأت محبة له لكن جون –علي النقيض- أحب سماع صوته وراق له الصياح في وجهها واستدعائها من غرفة لأخرى، وفوق هذا وذاك أحب سماع صوته وهو يقرأ لها الجريدة في المساء، وكان هذا الأخير أشد ما تعافي نفسها. أنهك هذا الأمر أعصابها حتي أحست بالرغبة في الصراخ. أصبح صوت زوجها الرتيب مزعجا ومؤرقا علي نحو يصعب وصفه، والنداء عليها "بماري" لتترك ما بيدها من أعمال المنزل وتتوجه إليه لتحضر له خفه أو غليونه قد أفرغ ما في صدرها من صبر ودفع بها إلي حافة التمرد بتمتمة عبارات من قبيل " احضر خفك بنفسك"، لكن هذه العبارات المرتعشة لم تغادر قط شفتيها لأنها امرأة لا تحتمل الغضب ويفزعها الصخب بكل درجاته. تحملت ماري كل هذا لمدة عشر سنوات الأمر الذي يجزم بمقدرتها علي التعايش معه، لكنها أدركت اليوم بشكل قاطع بينما راحت تحملق بقنوط في الريف

الذي لفه الشتاء أنه لا يمكنها تحمل المزيد. لابد من حدوث شيء ما، لكن ما هو؟

كان عيد الميلاد "الكريسماس" علي الأبواب، سيحل وشيكا بعد سبعة أيام. جعلت هذه الخاطرة فاها ينفغر عن ابتسامة يعتريها الأسى. ثم شاهدت زوجها مقبلا علي الطريق باتجاه البوابة ومنها إلي الباب الجانبي ممسكا بخطاب.

"ماري"

تباطأت في التلبية.

"قابلت ساعي البريد، من عمتك"

فتحت ماري الخطاب وقرأته قراءة صامتة. كان كلاهما يعرف مضمونه تماما.

"تدعونا لقضاء أجازة عيد الميلاد معها".

بدأ الزوج في التبرم قائلا : "إنها صماء كالحجارة تماما كما كانت أمها. ينبغي عليها إدراك أنه لا يمكنها سماع أي شخص قبل أن تنشد الزيارة".

لاذت ماري بالصمت. دائما ما يبدي زوجها التبرم من الدعوة في البدء لكنه يود – في قرارة نفسه- تلبيتها، حيث يروق له الذهاب إلي القرية لبضع أيام من باب التغيير والاستماع إلي ما يكتنفها من أحاديث النميمة، مؤتمنا العمال علي المزرعة.

كان صمم عائلة كرو أمرا معروفا. فقدت جدة ماري حاسة السمع في سن الخامسة والثلاثين وورثت ابنتها ثم حفيدتها- عمة ماري التي أمضت معها طفولتها- هذا الداء في نفس السن تقريبا.

"حسن" قالها الزوج علي مضض في نهاية المطاف ردا علي صمت ماري المطبق " يجدر بنا أن نذهب. ليكن هذا ردنا، فاكتبي إليها".

عشية عيد الميلاد كانوا في غرفة الطهي بمنزل عمها. جلست المرأة العجوز في مقعدها بجوار المدفأة وبدت منهمكة بشغل الإبرة بينما ارتسمت علي وجهها الغائر ابتسامتها المعهودة التي تجمع بين الفضول والتهكم. وقف الرجلان في الممر، أما ماري فقد جلست بجوار مائدة الطعام شاردة بنظرها عبر النافذة. كان الثلج يتساقط في زخات تحجب الرؤية ، أما في الداخل فكان هناك وميض النيران أسفل ماعون الطهي النحاسي والآنية الفخارية فوق خزانة الأطباق ولحم الخنزير المتدلي من السقف.

فجأة إلتفت جيمس قائلا : " جين!"

لم تحرك المرأة الصماء ساكنا.

"جين!"

لكن هذا الوجه الغامض الهرم بجوار المدفأة لم يبد أي استجابة لندائه المتكرر.

"جين!"

التفتت التفاتة بسيطة نحو مصدر الصوت. صاح قائلا : " احضري الصور من الطابق العلوي كي يراها جون"

قالت " ماذا عن القوارب؟"

رفع الزوج عقيرته "الصور!"

"المعاطف؟" ، قالتها بشيء من التناغم.

تابعت عينا ماري حوارهما الذي انتهي بمغادرة الرجل الغرفة مبديا علامات الضيق والتذمر، عاد بعدها بمجموعة من الكروت البريدية. عقب متبرما "من الأسرع أن تأتي الشيء بنفسك" واستطرد قائلا :" أرسلها لي أخي من سويسرا حيث يعمل. بلاد جميلة كما يبدو من كروت البوستال".

تناول جون الصور قائلا في إيماءة إلي السيدة العجوز "تزداد حالتها سوءا".

كانت المرأة لا تزال في جلستها ترمق المدفأة بينما تعلو شفتيها ابتسامتها الغريبة المتطلعة.

هز زوجها كتفيه قائلا :" أجل. ساءت حالتها تماما كما كانت والدتها أو كادت"

"وجدتها"

"نعم. يستغرق الأمر وقتا أطول إذا طلبت منها القيام به، لذا أفعله بنفسي. زد علي ذلك أن قدرا من الغباء يصيب الشخص الأصم فلا يعي ما تريد ومن ثم يفضل أن يترك لحال سبيله".

أومئ جون مشعلا غليونه، فتح جيمس الباب فتسرب الهواء البارد إلي داخل الغرفة ثم أردف "توقف هطول الثلج فهلا مضينا إلي أطراف القرية ثم نؤوب؟"

هز جون رأسه وتناول قبعته من خلف الباب قبل أن ينطلقا.

أخذت ماري كتاب كان علي المائدة وتقدمت نحو المدفأة.

"ماري!"

كان صوت النداء أشبه بصوت عمتها الشابة التي أمضت طفولتها معها. لم يكن صوت العجوز الصماء التي راحت تنحني للأمام لتحملق فيها.

"ماري! عيد ميلاد سعيد"

"ولك أيضا يا عمتي"

"شكرا لك. أشكرك"

واصلت ماري لاهثة " عمتي! هل تسمعينني وأنا أتحدث بهذا الصوت الخافت"

ضحكت العجوز ثم أطرقت صامتة وهي تتأرجح في مقعدها الهزاز وتطلق العنان للبهجة التي حبستها السنين، ثم قطعت الصمت قائلة " اجل أستطيع سماعك ياصغيرتي كما سمعتك دوما".

أمسكت ماري يدها بشغف " إذن فقد تماثلت للشفاء يا عمتي"

"أجل، لقد برأت إذا كان هناك ثمة ما أبرا منه"

"أنت؟"

"لم أكن أبدا صماء ولن أكون أبدا يا طفلتي. الشكر لك ياإلهي علي نعمك".

هبت ماري واقفة وقد اعترتها الدهشة : " أنت لست صماء؟"

عاودت العجوز الضحك الخفيف : " لا أنا ولا أمي ولا جدتي".

تراجعت ماري قائلة : " أنا..لا أدري ما تعنين"، ثم أضافت بصوت واجف مرتعش " هل كنت تتظاهرين؟"

ردت العجوز "هذه هديتك في عيد الميلاد ياعزيزتي فأنتي ابنتي التي لم ألدها، وتلك كانت عطية أمي لي من قبل في عيد الميلاد عندما ناهزت عمرك وهدية جدتي لامي. هكذا علي حين غرة إذا شئت سمعت ما تريدين وصممت أذنيك عما لا تريدين سماعه. هل تفهمين؟

انحنت لتقترب عن كثب من ماري هامسة " تنفصلين عن كل شيء، عن لزوم إحضار هذا وحمل ذاك من أجلهم، عن الرد علي أسئلتهم السخيفة والكدح كالكلاب في عمل المشاوير الخاصة بهم. لقد ظللت أرقبك يا فتاتي. لا تنعمين بالسلام وراحة البال، أليس كذلك؟"

أجابت ماري الواجمة المرتعشة المضطربة " آه! لقد شل تفكيري...لا أستطيع أن أفعل ذلك".

" افعلي ما تشائين"، جاء رد العجوز التي أضافت : " علي أي حال خذي هدية عيد الميلاد، هدية صمم عائلة كرو". أكملت العجوز ضاحكة من

أعماقها " استخدميها أو اتركيها ، كما يحلو لك. علي أي حال ستجدينها ممتعة بشكل كبير".

مرة أخري عادت الابتسامة العجيبة علي وجه العجوز كما لو أن قلبها يحمل فرحة جديرة بآلهة الأولومبيس.

فتح الباب بغتة فتسربت من خلاله هبة من الهواء البارد. عاد الرجلان أدراجهما وقد تناثرت شذور الثلج عليهما.

"أنا.... لن أفعل ذلك"، قالتها ماري بصوت هامس مهتز.

علق جون قبعته قائلا : " لم نبتعد. لقد عاود الثلج الهطول".

نهضت العجوز وشرعت في إعداد العشاء منتقلة بين الخزانة والمائدة في صمت وتأنق دون أن ترفع عينيها من علي الأرض. في غضون ذلك ظلت ماري جالسة بجوار المدفأة، لم تحرك ساكنا ولم تنبس ببنت شفه ولم تشيح بناظريها عن الفحم المتوهج.

"هل بدا عليها أي علامات الصمم؟" ، تساءل جيمس بصوت خفيض ناظرا باتجاه ماري. " لقد حدث هذا لزوجتي عندما كانت في سنها"

"نعم. لقد سمعت عن ذلك"

"ماري!" ، ناداها بأعلى صوته. تورد خديها علي نحو طفيف لكنها لم تلتفت لمصدر الصوت وكأنها لم تسمعه. نظر جيمس إلي زوجها نظرة لها مغزى. تجمدت العجوز في مكانها لبرهة ممسكة بقدحين في كلتا يديها وارتسمت علي شفتيها ابتسامتها الهينة الدقيقة.

رجل غريب الشكل

وسط الجبال في دولة ما تقع قرية صغيرة خرج رجالها للقتال لمدة أربع سنوات. شملت الموجة الأولي الصفوة الأشداء وحل الشباب في أثرهم وانتهي المطاف بطلاب المدارس . أفرغت القرية من جلة سكانها اللهم إلا العجائز والمعاقين الذين واجهوا موتا وشيكا لأن سياسة حكومة الحرب لم تعبا بهم لأنهم عديمي الجدوى، ولذا فإن هلاكهم يعني توفير الطعام لهؤلاء الذين ترجي الفائدة من ورائهم.

رحل الرجال قاطبة عدا شرذمة تركوا ليتضوروا جوعا ويجابهوا موتا بطيئا، ولم يعد من ساحة الوغى سوي قلة قليلة مابين مشلول ومشوه بأشكال متفاوتة ودرجات متباينة. أحدهم فقد جزءا من وجهه واضطر إلي ارتداء قناع مصقول من مادة القصدير. بدا الرجل في هذا القناع المطلي وكأنه مهرج. رجل آخر عاد بساقيه معافين لكنه فقد زراعيه وثالث فقد ساقيه واحتفظ بزراعيه. أحدهم تعافي النفس النظر إليه، ولا حتي أمه التي ولدته تطيق ذلك وحتما ستتشيح وجهها عنه فلقد احترقت عيناه وبزت عن موضعها بالرأس فأمسي يحملق كشبح الردى. آخر فقد ساقيه وزراعيه وأصابته لوثة من الجنون لما حل به من بؤس، زد علي ذلك أنه أمضي أيامه في سرير صغير كالطفل في المهد، وهلم جره...فهذا مسن ظل يختنق ليل نهار لأنه استنشق غاز سام وذاك طفل يرتجف كالوريقة في مهب الريح. لقد أصيب بصدمة نتيجة انفجار دانة فغدا يصرخ عند سماع أي صوت، ناهيك عن أنه فقد احدي يديه وجزء من وجهه لم يكن كافيا ليضمن له تكلفة الحصول علي قناع. حصل هؤلاء الرجال - عدا من أفزعه منظره ففقد لبه - علي أجهزة متخلفة كي تمكنهم من الاعتماد علي أنفسهم بشكل جزئي وكسب ما يكفي لدفع حصتهم من الضرائب التي أثقلت كاهل أمتهم المهزومة. عند اجتيازك لهذه القرية بعد أن وضعت الحرب أوزارها يسيطر عليك شعور بأنك تطالع نموذج مصغر لدمية تزخر بأشكال ميكانيكية تقرقع وتطقطق، لكن بهجة ورونق الألعاب الجديدة قد حل محلهما أنماط مقهورة مستوحشة.

كان هناك المقر العام ودكان الحداد والطاحونة، كما كان هناك مجموعة من الأكواخ وكنيسة القرية والشلال بمياهه المتلألئة المتدفقة بين ثنايا الربي كالمناديل المزركشة اللامعة. وكان هناك الطيور باستعراضاتها والحملان والبقر، لكنه لم يبق من كل هذا إلا القليل. كان هناك النساء وبرفقتهن بضع أطفال حيث عزفت جلة النساء عن الإنجاب فأصابوا الرشد لأنهم كرهوا رؤية الأبناء عائدين من ميادين القتال وقد فقدوا ألبابهم وأطرافهم ليكتب عليهم أن يمضوا السنين – علي أقل تقدير – دون حول أو قوة في أسرة تشبه مهاد الرضع. ورغم ذلك فقد أنجبت بعض من هذه المخلوقات الغضة خاصة الشابات منهن طفلا أو طفلين.

ولد أحد هؤلاء الأطفال في العام الثاني للحرب. كانت رأسه طويلة تشبه الطلقة وأما بشرته فتميل إلي الشقرة. عندما ناهز الثلاثة أعوام شرع – علي العادة المتأصلة للأطفال في هذا السن – في اكتشاف العالم من حوله بروح مرحة وثابة تنزع إلي التجوال. كان مغرما بالله و وعرف به في القرية برمتها، ينتقل هنا وهناك بين أنقاض الحرب وأطلالها يحاول قياس القناع القصديري ولعب بساق الخباز الميكانيكية وسر غاية السرور لأرجحة المهد الذي يرقد فيه والده بعد أن فقد جميع أطرافه، لكن هؤلاء جميعا غضوا الطرف عن لهو المدلل الصغير وقابلوا شقاوته البريئة بالتسامح.

ظل الطفل ينتقل بخفة ظله هنا وهناك. رأي البعض فيه الابن الذي فقده والبعض الآخر الابن الذي يتمني أن ينجبه لو رجع الزمن للوراء وتغيرت صروفه وظروفه. كان يمثل لطائفة الهروب من شبح المستقبل الميئوس منه، ولطائفة أخري مرور الوقت وكسر وتيرته تماما كما هو الحال بالنسبة للكفيف الذي اعتاد الجلوس علي عتبة كوخ أمه واضعا همه في تجميع وتربيط المقشات. كان هلول الطفل عليه كأشعة الشمس الدافئة التي تتخلل يديه، وكم أحب استبقاء الصغير معه حتي ولو كان الثمن أن يدفع له نظارته الزرقاء الكبيرة التي يروق للصغير وضعها علي وجهه والتحرك بها بين الناس.

فتح الطفل عينيه علي مشاهد التشوهات والعاهات فألفها وما فزع منها قط. في صبيحة يوم من الأيام تركته أمه لحال سبيله وانهمكت في غسل الملابس وكلها ثقة أنه سيفتش عن صديق من بقايا وحطام الجنود فيتسلي معه حتي الظهيرة عندما يستبد به الجوع، لكن الأطفال عادة ما يطلقون العنان للخواطر الغريبة ويأتون من الفعل عكس ما هو متوقع أو مفترض. في

صباح هذا اليوم الزاهي من أيام الصيف هام الطفل علي وجهه بمحاذاة احدي البرك التي تحوطها الجبال، وراح خياله يزين له ارتقاء الجبل سعيا إلي المزيد منها فلما انتهي إليها راح يلقي بالحصى في مياهها ويواصل شروده في الوديان الصغيرة مطاردا البط بين الفنية والأخرى علي ضفاف البرك. حين تجاوزت الساعة العاشرة كانت قدماه قد ساقته إلي البركة ذات الوميض الأخضر والتي تزبد مياهها وترغي بالبياض. كانت هذه البركة غائرة خلف ظلال صخرة عالية رمادية اللون، وتتأرجح بفعل النسيم العليل علي قمتها المستوية ثلاثة من أشجار الصنوبر وقف تحت ظلالها شاب وسيم ينظر للطفل كسحابة بيضاء وسط سماء خضراء يحاول الاتزان علي الحافة المنحدرة استعدادا للغطس. وقف هناك للحظة وقد اتشح تارة بأشعة الشمس واكتسي بالظلال الوارفة تارة أخري، ثم قفز بحنكة بالغة فلم يحدث ولوج جسمه في الماء أي رشرشة، ثم خرجت رأسه الداكنة وقد تقاطرت منها المياه، واندفع بزراعيه اللامعتين سابحا بقوة نحو الشط. تسلق الصخرة وأخذ أهبته لمعاودة الغطس مرة أخري، وعلي نحو رياضي أخاذ وروح وثابة متطلعة للحياة عاود الشاب الكرة مرارا وتكرارا حتي أصاب الصغير بالدوخة، فلما قضي وتره انحني طلبا لثيابه المتناثرة وحملها لبقعة ساترة ثم لبسها علي عجل. حدث كل هذا والعجب يتملك الطفل الصغير وعيناه مفتوحتان مشدودتان من الدهشة التي أخذت بعقله واستحوذت علي انتباهه.

لدي الشاب اليافع زراعيين وساقين ووجهه كامل التفاصيل من عينين وأذنين وأنف وفم وذقن. كان مبصرا، بدا ذلك من نظراته العابرة نحو الطفل بينما يرتدي ملابسه، كما كان قادرا علي النطق إذ أنه تغني بصوت عال، ولم يكن أصما إذ أنه التفت خلفه حين خفقت أجنحة الحمام. كانت بشرته رقيقة بشكل عام، لم يبد فيها أثر للجروح وندباتها كتلك التي شاهدها الصغير بشكل لافت علي وجه وصدر وزراعي الرجل المحروق. لا يعاني الشاب من الاختناق الفنية تلو الأخرى ولا ترتعش وشائجه وأوصاله وأطرافه بشكل مرضي، ولا يقابل الأصوات من حوله بالصراخ. لم يستطع عقل الصغير فهم كل هذا الأمر الذي روعه وأفزعه فاخذ في النشيج والارتجاف والبحث وإرجاع البصر بحثا عن أمه. لاحظ الشاب ذلك فابتدره بالحديث وكأنه يخاطب شخصا كبيرا:

"أهلا بك" ، قالها وهو يتقدم عبر جسر المشاة وقد انفرجت أساريره بابتسامة سارة لرؤية الصغير فلقد كان أول من يراه من الأطفال في ذاك اليوم وقد لاحظ قلة عددهم في الوادي الذي كان يزخر بهم حين اجتازه

مسافرا منذ خمس سنوات مضت لدرجة أنه لم يجد حينها قطع نقود كافية لتوزيعها عليهم. احتفظ ببشاشة وجهه وراح يفتش في جيوبه عن عملات صغيرة لكنه تعجب حين أخذ الطفل في الصراخ ثم أسلم رجله للريح في هلع بحثا عن مأمن سرعان ما وجده بين زراعي امرأة شابة راحت تدنو علي عجل. عانقته المرأة فتنفس الصغير الصعداء، لكنه لم يفوتها أن تقرن لهفتها عليه بسيل من عبارات التوبيخ في آن واحد. اقترب عابر السبيل حثيثا وبدا كمن جرحت مشاعره، وابتدر المرأة قائلا:

"أؤكد لك يا سيدتي أني ما أردت سوي إعطاء ابنك هذه العملات الفضية"، ثم تساءل في حزن ودهشة بعد أن رمق نفسه بنظرة فاحصة "ثم ماالذي يثير هلع الصغير ؟"

ابتسمت الفلاحة الشابة بوجه سمح أدارته نحو كليهما : الطفل الذي راح ينهنه داسا وجهه في تنورتها والشاب اليافع الوسيم الذي بدت علي وجهه علامات الارتباك، ثم ردت عليه باقتضاب :" لأنه استغرب شكل المسافر وهيئته....إنه صغير كما تري" وأشارت بيديها إلي ضآلته " إنها المرة الأولي التي يري فيها رجل صحيح البنية، كامل التفاصيل."

ليليان ومغامراتها في سوق العمل

همت ليليان ميتشل لدخول متجر السلع الجافة في شارع راندال في اللحظة التي غادرته إيثر ميلر وإيلا تايلور بعد أن ردا تحيتها ببرود وتبادلا نظرات عابرة ذات مغزى حين انطلقا إلي وجهتهما. احمر وجه ليليان خجلا. قارب عمر هذه الفتاة الطويلة النحيفة التي ترتدي ملابس الحداد سبعة عشر عاما. كانت الفتاتان صديقتين لليليان قبل أن تفقد عائلة ميتشل أموالها. منذ ذلك الوقت سعي العديد من أصدقاء ليليان القدامى إلي تجنبها ومقاطعتها الأمر الذي آذي مشاعرها بشدة.

كان بائعو المتجر مشغولين فجلست ليليان في انتظار دورها بالقرب من سيدتين تتبادلا الحديث. قالت السيدة سوندرز بنبرة يعلوها الإرهاق والتعب: "طلبت طفلتنا هيلين إقامة حفل عيد ميلاد لها. لقد وعدتها وأكره أخيب ظنها. رحلت خادمتنا الأسبوع الفائت، ولا يمكنني صنع كل الكعك وخلافه بمفردي. لن يسعفني الوقت ولا الجهد، ومن ثم سيتعين علي هيلين أن تمضي عيد ميلادها بدون حفلة."

أخذت السيدة ريفز زمام الحديث قائلة بجزع:" بمناسبة الحديث عن الخادمات، لقد فقدت الأمل في العثور علي خادمة تجيد صنع كل شيء. كانت آخرهن وقحة فاستغنيت عنها واستبدلتها بأخرى لكنها لا تجيد الخبيز، والحق أنني أيضا لم يحالفني التوفيق قط في صنع الخبز اللدن"

" وهذا الأمر يسبب هما للسيدة بورتر أيضا. ليس من اليسير إعداد الخبز لكل هؤلاء المدعوين. هل انتهيت من عمل الجيلي؟"

" لا. ماريا لا تعرف كيفية تحضيره، وأنا أكره الفوضى التي تصاحب إعداده، لكن..في الحقيقة يجب أن أقرر وشيكا ما ينبغي علي عمله."

عند هذه النقطة تقدمت بائعة بين يدي ليليان التي ابتاعت بعض الأغراض البسيطة وانصرفت.

" هاهي ليليان ميتشل "، قالتها السيدة ريفز بصوت خفيض ثم أضافت " تبدو شاحبة. يقال أنهم يعانون من فقر مدقع منذ تردي أحوال هنري ميتشل ووفاته علي إثرها، أو هكذا أخبرت."

أجابتها السيدة سوندرز:" أشعر بالأسى من أجل السيدة ميتشل. إنها امرأة رقيقة. يتعين علي ليليان أن تجد شيئا تتكسب منه، وما أندر الفرص المتاحة أمام الفتيات هنا."

ننتقل إلي ليليان التي أصبحت في عرض الشارع تقلب في ر أسها مشاكل الحياة التي أنهكتها علي صغر سنها ولين عودها. رحل والدها عن الحياة الربيع المنصرم. كان تاجرا موسرا فنعمت أسرته برغد من العيش وهنأت ابنته الوحيدة ليليان بالتدليل والحبور، ثم تزعزع موقف هنري ميتشل المالي وباغته الموت فنزلت عليهم الصدمة كالصاعقة وغلب عليهم اليأس من إنصلاح الأمور، فلما سددوا الديون تبقي مقدارا زهيدا من المال لليليان وأمها تقتاتان عليه ، لكن هذا المبلغ الضئيل كان يكفي بالكاد لسداد إيجار المنزل، لذا انتقلا إلي بيت صغير بمنطقة متواضعة، ولأن السيدة ميتشل كانت مهيضة واهنة فقد وقع هذا العبء علي عاتقي ليليان التي سعت جاهدة للحصول علي عمل تتكسب منه، لكن فرصتها كانت ضعيفة في بلدة ولنجتون الهادئة الصغيرة فلا هي يمكنها التدريس ولا هي تمتلك مهارة في أي اتجاه مما أوقعها في حبائل اليأس.

" لا يوجد مكان لي في العالم علي ما يبدو يا أمي "، هكذا تفوهت ليليان حول مائدة العشاء بنبرة تشوبها الكآبة. " لا أمتلك موهبة علي الإطلاق. إنه لأمر بغيض أن يولد المرء بدون موهبة، وبالرغم من ذلك فيجب أن أفعل شيئا دون تأخير."

بعد أن غسلت ليليان أطباق الشاي توجهت إلي الطابق العلوي وانفطرت في البكاء. لكن أحلك ساعات الليل – كما يقول المثل – هي تلك التي تسبق الفجر فبعد أن جففت ليليان دموعها أطلت من النافذة إلي حيث العتمة ولمعان القمر الوليد فوق الأشجار المتراصة علي جانبي الشارع، ثم جاءها الإلهام فهرولت في ظرف دقيقة إلي حجرة الجلوس حيث انهمكت أمها في الحياكة.

" أمي. لدي فكرة سنصيب ثروة!"

"لا تضيعينها إذا"، أجابتها السيدة ميتشل بابتسامة ثم أضافت " ما هي ياعزيزتي؟ "

عادت ليليان إلي أرض الواقع وجلست بجوار أمها تسترجع الحديث الذي سمعته ظهيرة اليوم في المتجر.

" ومن هنا يا أمي جاءتني الفكرة. لطالما رددتي أني ولدت طاهية وأن الحظ يحالفني في تهيئة الطعام، وكبداية سأتوجه غدا إلي السيدة سوندرز وأعرض عليها إعداد مستلزمات حفل عيد ميلاد هيلين وسأطلب من السيدة ريفز والسيدة بورتر السماح لي بصنع الخبز لهما. إنني أجيد الطهي كما تعلمين وأعتقد أنه بإمكاني شق طريقي بنجاح في وقت معقول."

" تبدو فكرة طيبة"، هكذا ردت السيدة ميتشل بإمعان. " وليس عندي مانع من أن تجربي، لكن هل فكرت في الأمر مليا وقلبتيه علي جميع جوانبه؟ ستعترض طريقك صعاب جمة."

" أعلم ذلك، ولا أتوقع أن تصطدم أشرعتي برياح مواتية طوال الرحلة. ربما فشلت فشلا زريعا، ولو أنني لا أميل إلي تصديق ذلك بشكل ما أو بآخر."

"سيحمل هذا الأمر العديد من أصدقائك القدامى علي الاعتقاد ...."

" آه، نعم، أعرف ما سيقولون، لكني لن ألتفت إليهم يا أمي. لا خزي ولا ضير في السعي وراء الرزق. سأبذل قصارى جهدي ولن أعير اهتماما لما يقوله الناس."

في باكورة اليوم التالي شرعت ليليان في تنفيذ ما عقدت عليه العزم، آخذة في الاعتبار أدق التفاصيل بعناية مفرطة. فندت كافة الوسائل والطرق وقررت – دونما استمراء للتجربة – استخدام أصوبها وأنفعها وكلها ثقة من النجاح.

كان الحصول علي خادمة ماهرة في ولينجتون أحد المشاكل التي واجهت سكان هذه البلدة نظرا لتناقص عددهم بعد أن تزاحمت الفتيات علي المصانع التي أقيمت في مدينة درايتون المجاورة، وكان جلة من بقي من الخادمات في ولينجتون لا يجيد الطهي، لذا عد من الكياسة ما ذهبت إليه ليليان في تفكيرها بأن العديد من ربات البيوت في البلدة سيسعدن بالمشروع الجديد وسيسعين إلي استغلاله لصالحهن.

ولدت ليليان حقا – كما أخبرت هي عن نفسها "طاهية" – وكان هذا رأس مالها الذي استثمرته لأقصي درجة. أصغت إليها السيدة سوندرز بسعادة وانبهرت بها وهي تتكلم عن مشروعها.

" هذا هو بالضبط ما نريده"، كان هذا تعقيبها ثم أضافت :" هذه الحفلة هي غاية ما ترنو إليه هيلين وتتمناه، لكني لم أستطع تحمل عبئها بمفردي. سيوافق عيد ميلادها يوم الجمعة، فهل يمكنك إعداد كل شيء قبل هذا الموعد؟"

ردت هيلين بهمة عالية :" نعم، أعتقد ذلك" ثم أخرجت دفتر ملاحظاتها قائلة:" من فضلك أعطني حصرا بما تريدين وسأبذل قصارى جهدي لتحقيقه."

انطلقت ليليان بعد مقابلة السيدة سوندز إلي السيدة ريفز وسرعان ما كسبت عميلا جديدا بمجرد إفصاحها عن سبب الزيارة. "سأوفر لكم كافة أنواع الخبز الذي تحتاجين، وعلي قدر كبير من الجودة، كما يمكنني عمل جيلي طيب ويسرني أن تكوني أول من يتذوقه."

فازت ليليان بطلبية قبل مغادرتها: دستتان من أكواب جيلي التفاح ودستة من الخبز بشكل منتظم. كانت الزيارة التالية من نصيب السيدة بورتر التي ما إن فاتحتها ليليان في الموضوع حتي تشبثت بالفرصة قائلة:" أنا علي يقين أن خبزك سيكون جيد ويمكنك اعتباري زبونة دائمة."

اكتفت ليليان بهذا العدد من الأشخاص في محاولتها الأولي ومضت إلي البيت راضية، ولم تنس في طريقها أن تعرج علي محل البقالة لتبتاع الطلبات التي أصابت السيد هوبر بالدهشة، واتسعت حدقة عينيه عندما أخبرته بمشروعها. " يجب أن أخبر زوجتي بهذا الأمر فقد أصابها الوهن كما أنها لا تحب الطهي."

بعد أن تناولت ليليان وجبة العشاء ارتدت مريلة كبيرة وشرعت في العمل. أخذت تخفق البيض وتنزع النوى وتقلب وتمزج وتخبز حتي أرخي الليل سدوله. حين حل ميعاد نومها كان التعب قد تملك منها لدرجة أنها وجدت مشقة في الطلوع إلي الطابق العلوي، لكنها مع ذلك كانت سعيدة لأن يومها كان مثمرا، وعلي نفس المنوال انصرمت الأيام والأسابيع والشهور التالية. كانت حافلة بالكدح والعمل الدءوب لكنها آتت أكلها.

لم تقطع ليليان علي نفسها وعدا إلا وقد أنجزته فحازت رضا عملائها الذين تكاثر عددهم وتمسكوا بليليان التي أصبح لديها في وقت قصير مشروعا ثابتا مضطرد النمو. اقتفي كل من نوى إقامة حفلة أثر السيدة سوندرز فقصدوا ليليان لتوفير الاحتياجات واشتروا بذلك راحة بالهم.

انقضي شتاءا مشحونا بالعمل علي ليليان، وبالطبع لم تكن أيامه كلها حلوة، بل جلبت معها شيئا من النصب وقدرا من العنت. في بعض الأحايين تآمر ضدها كل شيء فالموقد يدخن وحرارة الفرن ليست مناسبة والكعك يأبي أن يرتفع والخبز مذاقه لاذع والفطائر فاسدة والنار لسعت أصابعها حتي باتت قاب قوسين أو أدني من الوقوع في شراك اليأس، ومن ثم التخلي عن مشروعها. صحيح أنها وجدت نفسها مرة أخري معزولة عن العديد من معارفها القدامى لكنها تمتعت بقدر من الحكمة بحيث لم يقلقها هذا الأمر خاصة وأنها احتفظت بالأصحاب الجديرين بالصداقة الحقة. بمرور الوقت تلاشت نظرة الهم التي انطبعت علي وجه أمها مع انتعاش مشروعها. تراقصت أمام ليليان آمال عراض ومضت نحوها في يقظة وحذر مع فطنة وحصافة لب وتعلمت كيف تضحك من إخفاقاتها.

خلال ذاك الشتاء تمكنت ليليان وأمها من الوفاء بمعظم الطلبيات واستعملت أيضا – في الأيام المشحونة بالعمل – ميري روبنسن، الفتاة الصغيرة التي تجاورهما في السكن ، وأحيانا طلبوا المساعدة من جيمي براون لتوصيل الطلبات إلي الزبائن بزلاجته.

مع حلول الربيع أخذت ليليان أهبتها لبدء حملة علي نطاق واسع استعدادا للصيف الذي تكثر فيه النزهات الخلوية وحفلات الزواج. تعاقدت مع ميري روبنسون للعمل خلال الموسم برمته كما استخدمت جون بيركنز لنقل الطلبات بكارته السريعة، كما نصبت مطبخا في الفناء الخلفي للمنزل واشترت موقدا حديدا وأعلنت عن نشاطها في صحيفة أخبار ولنجتون بالإضافة إلي منشورات تم توزيعها علي زبائنها. انهالت الطلبات علي خبز ليليان كما تلقت طلبات لتوريد المخللات والأطعمة المحفوظة والجيلي والذي زاد عليه الطلب بشكل خاص الأمر الذي استوجب معه تشغيل مساعد آخر.

تبنت ليليان قاعدة أساسية تقضي بعدم إرسال أي صنف لا يتماشي مع المعايير القياسية التي وضعتها هي لنفسها. تحملت الفقد الناتج عن الإخفاق

بل وسهرت الليالي أحيانا لإعداد طلبية في الموعد المحدد رافعة شعار "الإتقان وسرعة الإنجاز".

كانت أيام الصيف الطويلة الحارة جد مرهقة وكم من المرات أحست ليليان بالزهق من الأمر كله، لكن أساريرها انفرجت عندما راحت تسوي حساباتها بعد مرور عام على مشروعها. صحيح أنها لم تحقق ثروة طائلة لكنها ربحت مائة دولار صافية بعد تغطية كافة المصروفات، ناهيك عن أنها وضعت أساس قوي لمشروع مربح.

"أماه" ، نطقتها ليليان بتهلل بينما راحت تمسح ذرات الدقيق التي علقت بأنفها وتمزج طبقة الحشو المثلج لكعكة زواج بلانش ريمنجتون. " ألا تعتقدين أن مشروعي قد حقق نجاح لا يختلف عليه أحد؟"

رمقت السيدة ميتشل ابنتها المنهمكة بابتسامة حنونة ثم ردت قائلة:" بلي ".

الندم

كانت الآنسة أورلي تتمتع بقوام ممشوق وشكل حسن، بخديها المتوردتين وعينيها الماضيتين وشعرها البني الذي أخذ الشيب يدب فيه. كانت ترتدي قبعة شبيهة بتلك التي يرتديها الرجال في تنقلها بين ثنايا المزرعة، وتضع

في الأيام الباردة معطفا أزرق قديم من معاطف الجيش وحذاءا ذا رقبة عالية في بعض الأحيان.

لم تداعب فكرة الزواج خيال الآنسة أورلي مطلقا ولم تطارح شخصا الغرام أبدا. عندما كان عمرها عشرين ربيعا تلقت عرضا للزواج لكنها رفضته علي الفور ولم تندم أبدا علي ما فعلت حتى بعد أن وصل سنها إلي الخمسين.

ظلت بمفردها في هذا العالم لا يؤنس وحدتها سوي كلبها "بونتو" والفلاحين السود الذين يعيشون في أكواخ المزرعة ويباشرون محاصيلها، بالإضافة إلي الدواجن وبضع بقرات وبغلين وبندقيتها التي تزود بها عن الدجاج وتبقي الصقور بعيدا، وفوق هذا وذاك دينها.

في صبيحة ذات يوم وبينما كانت الآنسة أورلي تقف في شرفة المنزل واضعة يديها علي خاصرتيها وتاركة العنان لتأملاتها انشقت الأرض عن بضع أطفال وكأنما هبطوا من السماء لغاية وغرض فأصاب مجيئهم المباغت غير المحتفي والمرغوب فيه صاحبة الدار بالذهول. تبين بعد ذلك أنهم أطفال جارتها "أوديل" والتي لم يكن بينهما صلة وثيقة علي أي حال.

انقضت خمس دقائق علي ظهور المرأة الشابة وأطفالها الأربعة. كانت تحمل"إيلودي" الصغيرة علي زراعها وتستحث بالأخرى "تينوم" الذي أمسك بها علي مضض، في حين مشت في أعقابها "مارسلين" تقدم خطوة وتؤخر أخري وبصحبتها أختها "مارسيليت".

كان وجه الأم شعثا شديد الحمرة نتيجة للاضطراب والبكاء. بينما كان زوجها غائبا في ولاية تكساس أرسل من ينبئها بأن مرضا عضال قد ألم بأمها. كان "فالسن" ينتظر بكارته التي يجرها بغل ليحملها إلي المحطة وبدا لها كل شيء نائيا، مترامي الأطراف، علي بعد ملايين الأميال.

"آنسة أورلي، المسألة ليست شائكة. كل ما عليك عمله هو استبقاء الصغار من أجلي حتي أعود. يمكنك الرفض طبعا. يعلم الله ما كنت أود مضايقتك لكن ليس أمامي بديل آخر. اعتبر يهم أطفالك. لقد كدت أفقد عقلي وصرت بين شقي الرحى.....الأطفال من ناحية و"ليون" الغائب وأمي المسكينة التي لا أدري هل مازالت علي قيد الحياة؟". انقبض صدر أودلي لمجرد التفكير في هذا الاحتمال المريع فغادرت مهرولة في اتجاه عائلتها المكلومة.

بعد رحيل الأم تكدس الأطفال في شريط الظل الضيق الذي أحدثته علي الأرض الحافة الناتئة عن سطح المنزل الخفيض، بينما ضربت أشعة الشمس المتقدة العوارض البيضاء العتيقة. تجمع بعض أفرخ الدجاج بالقرب من عتبة الدرج وراحت تنقر العشب في حين قفزت إحداها بجسارة إلي رواق الشرفة ثم هامت بوثبات رزينة متثاقلة. كان الهواء مفعما بعبير الزهور وانطلقت عبر الأثير ضحكات الفلاحين السود في حقول القطن المتفتحة.

وقفت الآنسة أورلي هناك تفكر مليا في الأطفال، وبعين ناقدة راحت ترمق مارسلين التي تعثرت خطاها جراء حمل إيلودي الممتلئة. وبنفس الكيفية تفحصت مارسيليت وقد اختلطت دموعها الصامتة بأنين الأسى والتمرد الصادر عن أخيها "تينوم". بعد لحظات من التفكير والتدبر تمالكت الآنسة أورلي نفسها وقررت القيام بما يحتم عليها الواجب فعله بادئة بإطعام الأطفال.

لو توقفت مسئولياتها تجاههم عند هذا الحد لكان الأمر سهلا يسيرا ولقامت خزانة الطعام بمنزلها بإسكات الاحتياجات الطارئة لهذه الغريزة علي نحو كاف، لكن الأطفال ليسوا مثل الخنازير. إنهم يحتاجون إلي الرعاية والاهتمام ولم يكن متوقعا توافرهما بالمرة لدي الآنسة أورلي لأنها لم تمر بهذه التجربة من قبل ولم تستعد لها بشكل جيد.

لكنها برعت بحق في استيعاب وتصريف أمور أطفال أودلي خلال تلك الأيام القليلة. كان عليها أن تكتشف خصوصياتهم بنفسها. لم يخبرها أحد مثلا أن مارسيليت تنفجر في البكاء والنحيب إذا خوطبت بصوت عال ونبرة آمرة، كما تعرفت علي رغبة تينوم في قطف الورود اليانعة من نوعية الجاردينا وأخري علي تباين ألوانها لا لغرض جلي سوي فحص تركيبها النباتي بدقة!

"توجيهه فقط لا يكفي باسمي أورلي"، هكذا وجهتها مارسيلين ثم أضافت "يتعين عليك ربطه في المقعد كما كانت تفعل أمنا حين لا يكف عن شقاوته". كان المقعد الذي قيدت الآنسة أورلي عليه تينوم فسيحا ومريحا فاغتنم الصغير الفرصة وأسلم نفسه لقيلولة الظهيرة الحارة.

عندما أرخي الليل سدوله وحل موعد النوم دعت الآنسة أورلي الأطفال إلي الفراش، لكنهم تسمروا أمامها وقد إرتسمت علي وجوههم علامات التشويش

وعدم الاستيعاب، فماذا عن كسوة الوسائد البيضاء التي تحولت إلي ملابس نوم وتم حشر الأطفال فيها بقوة حتي لتسمع صوت تفسخ خيوطها وطرقعتها كالسياط التي تنهال علي الثيران؟ وماذا عن إبريق المياه الذي تم جلبه ووضعه في منتصف أرضية الحجرة لتنظيف الأرجل الصغيرة المنهكة التي سمرتها الشمس وعفرها التراب؟ لقد جعلت عملية الدعك والغسل هذه مارسيلين ومارسيليت تنفجرا في الضحك من قلبيهما. وهل كانت الآنسة أورلي تعتقد للحظة أن تينوم قد يغافله النوم دون أن يسمع حكاية البعبع أو المستذئب أو كلاهما أو راودتها فكرة أن إلودي قد يداعب جفنيها النوم دون عناء أو هدهده؟

"أتدرين يا روبي....لرعاية دستة من الشجيرات أهون عندي من القيام علي أمر هؤلاء الأطفال..ياإلهي! ياله من أمر محزن! لا تتحدثي معي عن الأطفال"، هذا ما قالته الآنسة أورلي لطاهيتها.

"يا آنسة أورلي... إن فكرتك عنهم سطحية والأمر ليس بالسوء الذي تتوقعينه. لقد بدا ذلك لي جليا بالأمس عندما عسست علي الصغير فشاهدته يلهو بسلة مفاتيحك، فهل تعلمين أن هذا الأمر ينشأ طفلا متصلب الرأي؟ كما يجعل أسنانه صعبة المنظر. هذه هي الأشياء التي ينبغي علي المرأة معرفتها لتربية وتسييس الأطفال.

لم تدع الآنسة أورلي – بطبيعة الحال – معرفة خفايا تنشئة الأطفال كما هو الحال بالنسبة لروبي التي "ربت خمسة أطفال ووارت الثري ستة" علي حد قولها، كما لم تتطلع الآنسة أورلي إلي هذه المعرفة وأحست بالرضا والامتنان لتعلم بعض أسرار الأمومة البسيطة والتي تسد احتياجاتها الراهنة.

أجبرها تينوم بيديه المتسختين علي ارتداء المرايل البيضاء لأول مرة منذ سنين كما مرست نفسها أيضا علي قبلاته المغموسة بلعابه وياله من تعبير عن الفطرة العامرة بالحب. أنزلت سلة الحياكة من علي الرف العلوي للخزانة ووضعتها في متناول يديها لتثبيت الأزرار ورأب الملابس الممزقة، وما هي إلا بضع أيام حتي ألفت الضحك والبكاء الذي عم ثنايا المنزل وصدي الأحاديث المنتشرة بين أرجاءه طيلة اليوم، واستطاعت – بعد انقضاء ليلتين – التأقلم والخلود للنوم المريح بجاني إلودي بجسدها الدافئ الممتلئ والملتصق بها وأنفاسها الساخنة التي تضرب خدها كخفقان جناح طائر.

بعد انصرام أسبوعين كانت الآنسة أورلي قد تعودت تماما هذه الأشياء ولم تعد تبدي تبرما.

في مساء ذاك اليوم وبينما تلقي ببصرها نحو الماشية التي انكبت تلتهم ما في معالفها شاهدت الكارة الزرقاء تدور حول منعطف الطريق وعليها أوديلي وقد جلست منتصبة ومتيقظة بجوار فالسن ببشرته القمحية. عندما اقترب الركب لاح وجه المرأة الشابة بإشراقة تنبئ عن أخبار سارة وعود حميد.

اندفعت الآنسة أورلي علي إثر هذه العودة المباغتة في شيء من الإثارة لتلم شمل الأطفال. كانت إيلودي في مأمن علي زراعها وصاحت من الفرحة عند رؤية الكارة الزرقاء التي أعادت لها أمها، لكن أين تينوم؟ أشارت إليه. كان في الظل يلهو بنصل علي المسن، وأين مارسيليت ومارسيليت؟ كانتا تلهوان بعرائسهما المتأنقة في جانب الشرفة.

راحت السكرة ومضي الجميع وحل بالمكان الصمت وخيم عليه السكون! وقفت الآنسة أورلي في الشرفة وقد استنفرت بصرها وسمعها. غابت الكارة عن ناظريها. أرخي الغروب والشفق بألوانهما الحمراء والزرقاء والرمادية ستارة بنفسجية علي الحقول والطريق فحجبته عن الرؤية. أصغت لكنها لم تسمع صوت صرير العجلات، وكل ما التقطته أذنيها بصعوبة هو صيحات الأطفال المرحة.

ولت الآنسة أورلي شطرها نحو المنزل. كان في انتظارها عمل كثير نتيجة للفوضى العارمة التي خلفها الأطفال ورائهم، لكنها لم تبدأ مباشرة في تسوية هذا الأمر. جلست بجوار الطاولة. جالت ببصرها عبر الحجرة التي تسللت إليها غيوم المساء وحلكته حتي احتوتها في عزلتها ووحدتها الموحشة. وضعت يدها علي خدها وأجهشت في البكاء والنحيب حتي تمزق نياط قلبها فلم تنتبه إلي بونتو وقد راح يلعق يدها.

حديقة الذكريات

بدت الحديقة قفر موحش بالرغم من سطوع شمس الأصيل. ولي أوان ازدهار الليلك واللافاندر وانزوي جمالهما الوافر خلف الفروع التي خرجت عن طوق النمو وتمردت عليه. طوحت الرياح بالأغصان فتراقصت الخيالات والظلال علي الممرات التي نمي فيها العشب وزحف عليها السياج النباتي الذي تشابكت فيه شجيرات كانت في الماضي تقف متراصة في خط واحد كأنها حرس شرف قد اصطف في انتظار مرور الموكب الملكي.

ثقلت علي الورود وتيرة الحياة ورتابتها فملت وجودها، ولو أنها كانت نباتات برية لم تألف رعاية الإنسان وصحبته لكان الأمر مختلفا لكن هذه اللمسة وغيابها أحدثت فرقا.

تعلقت البوابة علي مفصلات صدأه، ما إن دفعها رجل تغرب عن المكان قرابة عقدين من الزمان حتي انطلقت في موشح من الصرير.

أجل.. بالفعل كانت الحديقة أصغر من الصورة التي انطبعت في ذاكرته عنها. ولي زمن كانت بالنسبة له كيان شاسع مترامي ومن وراءها الأيكة الرائعة بكثافتها وعمقها الممتد.

شعر الرجل بخيبة الأمل فلم يحقق المنزل سعرا عاليا في السوق كما كان يتمني مع وجود حاجة ماسة إلي بيعه حتي يخرج من الضائقة التي ألمت به.

رتب مع المحامي مقابلة بالحديقة في ظهيرة ذاك اليوم حيث عرض أحد عملاء الأخير شراء المنزل مع إضافة قيمة أخشاب الشجر إلي السعر.

كان المنزل يشرف علي الحديقة ويطل نحو الجنوب. هنا نشأ الرجل الذي تعلق بالفرع المائل من شجرة العائلة وترعرع مع عمته الكبيرة الطاعنة في السن. بعد مرور بعض الوقت وصل إلي قناعة بأن عمته قد استكثرت عليه أي عاطفة قرب أو إعزاز. وارت أحاسيسها الثري بعد أن خطف الموت أطفالها وحرمهم من هذه المشاعر.

تمتعت العمة بشخصية قوية وكان من العسير علي من عرفها إيهام العقل بان تأثيرها قد تلاشي وانزوي.كان الجميع يبجلها ويجلها بدءا من القس ووصولا إلي الخدم. تذكر الرجل تماسكها عندما علمت بوفاة أحد الأقارب اللصيقين. لو أنه هو الشخص الذي قضي نحبه ما فت ذلك في عضدها وانتقص من ثباتها. سرت فجأة قشعريرة باردة في جسده كله فما أعاد إليه الدفء سوي الشمس المشرقة في ثنايا الحديقة وبين جنباتها.

ليس بمستغرب إزاء هذه الخواطر والحالة المزاجية التي سيطرت عليه أن يطلق العنان لذكريات أيام الصبا فيري العمة – في خضم المحن والعذاب – منتصبة القامة في مقعدها بمسنده الطويل وقد وضعت في حجرها يديها الدقيقتين الشاحبتين المنمقتين بالخواتم المرصعة بفصوص بريقها أخاذ. تذكر.. في احدي المناسبات قامت بغسل يديه الصغيرتين بين يديها. كانت الستائر في الردهة المفعمة بعبير المسك مسدلة دوما بشكل جزئي حتي يحتفظ السجاد بلونه أطول فترة ممكنة. هكذا جري العرف من السلف إلي الخلف في هذه العائلة الحريصة منذ أن استقرت في هذه المنطقة.

كما في الأحلام بدت السنون باهتة مشوشة من اللحظة الراهنة عودة إلي الماضي وأيام الصيف الطويلة المشرقة التي أستمتع بها في هدوء دون أن يحيد عن طريق الاستقامة أو يسبب متاعب من أي نوع.

شكل الجدول الذي كان يسميه نهرا حدا فاصلا بين الأيكة والحديقة، ورغم أنه قد تقلص فلم يبق منه سوي قدر زهيد من الماء الضحل إلا أن هالة غائرة من الرومانسية أحاطت بهذه البقعة التي شهدت بدايات مغامراته.

بينما أخذ يدنو من الجدول شاهد انعكاس وجه نضر في المياه. كان الوجه لولد صغير راح يرص الأحجار في شكل جسر ليتمكن من عبور المياه، وهاهو يجرب صنعته ويقترب محاولا الاتزان فوق الأسطح المنزلقة. كان اختفاء الصبي عن الأنظار حتي هذه اللحظة أمرا غريبا لكنه يعزي إلي اصطدام تيار المياه بحافة الشط وما تولد عنها من اندفاعات أكثر طولا من الولد نفسه.

حدق الصبي في عيني الرجل بنظرة كاشفة. لم تظهر عليه علامات الدهشة. هكذا يفعل صغار السن- كأمر مسلم به – في مشاهداتهم المستمرة للجديد من العجائب. بلمحة واحدة أدرك الصبي أن الرجل ليس غريبا عنه. كانت فطرته سليمة تماما كالحياة البرية من حوله.

من جانبه راود الرجل إحساس لا يخطئ بوجود قاسم مشترك بينه وبين الصبي وبإنتماء الأخير إلي المكان كما لو كان نبتة زهرية أو شجيرة غنية بالرحيق... فكيف يتأتي ذلك؟

حدث الرجل نفسه بأنه ربما كان الصبي أبن الوكيل. لقد فوضه آنفا في عمل ما هو مناسب لتنظيم وترتيب المنزل. لم يلحظ اللافتات التي تشير إلي الملاك، لكنه يري الآن من بعد أن البيت لا يبدو مهجورا كما توقع ولا تظهر عليه أي من علامات الهجر حتي علي النوافذ التي تحملق في الظلام الخالي من نبض أي حياة خلفها.

هل تعيش هنا؟ وجه الرجل سؤاله إلي الصبي.

أجاب الصبي بالإثبات ملتفتا في فخر وشموخ إلي المنزل الرمادي فكأنما يقدمه وقد ذابت نفسه فيه. تقول حنا أنه منزل عتيق. هناك صورة بالردهة فوق المكتب للرجل الذي بناه وزرع أشجار الأيكة.

حنا!

كان من البلاهة ترديد الاسم علي هذا النحو. بالطبع هناك العديد من الأشخاص يحملون نفس الاسم كان منهم الخادمة العجوز التي قضت نحبها من سنين يعجز الصغير عن حصرها والتي كانت تجالس الرجل في صباه وتسرد عليه الأحاديث وتستحوذ علي مسامعه بالحكايات.

نعم. ألا تعرف حنا؟ يمكنك رؤيتها بعد قليل عندما تأتي لتصطحبني. تقول حنا أن الأشجار قد ترعرعت مع العائلة وأن تماسك المنزل وتداعيه مرتبط بانتصاب الأشجار وسقوطها. هل تعتقد حقا أن الجذور تمتد كل هذه المسافة؟ تفوه الصبي بهذه الكلمات محاولا إعطاء نفسه أهمية زائفة تنبع بوضوح من اللاوعي في محاكاته للمرأة التي أسرت له بهذا التقليد.

علا نغمة الحديث ارتباك كان من المستحيل إخفاءه، ولعجز الرجل عن إبداء رأي في هذه النقطة استمر الصبي في حديثه لجرئ الذي اكتسب احترام مستحق.

ذات مرة اقتلعت شجرة من نوع التنوب. كانت صغيرة لدرجة أنه يمكنك وضعها في شالية ورد، ويا ليتني ما أقدمت علي هذه الفعلة. أردت صنع شجرة عيد ميلاد كالتي نقرأ عنها لأعلق عليها بضع أشياء قديمة لكن المنزل ارتج في هذه الليلة وخشخشت نوافذه وكأنما كانت أشجار الأيكة برمتها تحاول الولوج في المنزل. سمعت صوت طرقعة الأغصان الغاضبة في مواجهة زجاج المنزل. ما إن شقشق الصبح وتسربت خيوط الضوء حتي هرعت خارجا لأعيد الشجيرة مكانها. لم يكن في نيتي الاحتفاظ بها فترة طويلة وهذا ما أدركته أترابها في نهاية المطاف.

ألا يوجد لديك هنا أصحاب تشاطرهم اللهو واللعب؟

في لمحة خاطفة جال الصبي ببصره شاملا المكان من حوله. أصدقائي الطيبون هم الأشجار. لايمكنني الاستغناء عن أي منها. أنه لأمر حسن أن تسمع تصفيق أياديها عندما ننتشي جميعا بالسعادة. إنها زاخرة بأعشاش الطيور والسناجب. لقد ألف كلانا الآخر واعتدنا رؤية بعضنا البعض ملأ البصر.

لم يكن من العسير تصديق كلام الصبي والتسليم بصحته فالنسيج الخارجي لهذه الأشجار الذي تكسوه الطحالب ولحاق جذوعها قد حمل آثارا لهذه الصداقة.

إستا ثو الصبي بمعظم الحديث. كان في جعبته المزيد من الحكايات عن مؤسس العائلة التي تقبع صورته في الردهة وكيف أنه (الصبي) فكر حين أينعت براعمه أن يصبح كاتبا ليعيد أمجاد الماضي التليد لاسم هذا الرجل الراحل لكنه لم يهتدي إلي نوعية المؤلفات التي يجدر به البدء في كتابتها ولاغرو، أليس من العسير الاهتداء إلي القوافي المناسبة لنظم الشعر؟ وهكذا لم يشعر بالضرر وهو يميط اللثام عن هذا الطموح والولع رغم ما قد يسببه الحديث عن هذه الأمور مع الكبار من خجل وحساسية والتي غالبا ما تتواري خلف ستائر النسيان وتتلاشي مع مرور الزمن.

هلا انطلقنا إلي الأيكة الآن؟ تساءل الصبي ثم أردف: يمكننا العبور بسهولة فوق هذه الأحجار.

نعم. هيا بنا. صار الرجل يري الأشياء بعيني الصبي. انطوت الحديقة - كما ظلت دوما في ذاكرته – علي الكثير من الغموض الساحر. حقا لم يتغير شيء بل إن التغيير الذي تخيله لم يكن سوي تغيير عابر فقط طرأ علي نفسه هو. وضع الصبي يده الدافئة في يد الرجل وانطلقا معا نحو الأيكة كتلميذين هاربين من المدرسة... في صحبة سعيدة وكأنها رفقة السنين.

قطع الرجل الصمت قائلا: إذن هذه هي غابتك المسحورة.

أجاب الصبي: في الحقيقة ليست مسحورة. لقد قرأت عن جد ذات مرة عن غابة مسحورة في قصة خيالية عن الجن. كانت هذه الغابة تختفي إذا صادف أن نطق شخص بكلمة السر عن طريق الخطأ والغلط رغم مخالفتها لصحيح الكلام ومألوفه... وهكذا كان للصبي طريقته في الحديث عن الأيكة وقد أنزلها منزلة التقديس الأمر الذي أشعر مرافقه فجأة بالذنب دون أن يضع يده تماما علي السبب والعلة.

بالطبع قد يقدم شخص ما علي قطع هذه الأشجار. قالها الصبي بصوت خفيض، فالمجاهرة بذكر هذا العمل الإجرامي أمر يندي له الجبين. إن سماع تأوه وأنين هذه الأشجار تحت ضربات البلطة لشيء فظيع. قد لا تبالي الأجمة الصغيرة لكن الأمر جد سيئ للأشجار الكبيرة التي تأصلت

جذورها في المكان منذ البداية. تقول حنا أن بإمكانك سماع صوت نحيب الأشجار في الليالي العاصفة.

حتي بعد قطعها ونقلها بعيدا؟

أجل. بالرغم من ذلك. تأكد من هذا الأمر. إذا كان تداعي المنزل أمرا حقيقيا أيضا يتزامن مع سقوط الأشجار فسيأتي اليوم الذي لا يبقي فيه أحد ليسمع عويل الشجر. لكن دعنا من ذلك. هيهات فكلا الاحتمالين بعيد الحدوث كما تري وإلا وأين أذهب أنا وأين أقصد؟

ضحك الصبي من أعماق قلبه. كانت الخاطرة الأخيرة جد حاسمة بالنسبة له. لقد أخرج هذا الاعتبار الهام الاحتمال البغيض خارج الحسبة وجعله يبدو مجرد مزحة.

توقف الصبي عن الضحك وتسمرا الاثنان مكانهما وقد أرهفا السمع، فكلاهما قد خيل له سماع اسمه يتردد بين جنبات المكان.

هذه حنا، قالها الصبي وقد انطلق مهرولا باتجاه المنزل متلافيا بالكاد الاصطدام بشخص عبر لتوه البوابة.

من هذا الصبي الذي هرول من دقيقة بين الأشجار الوارفة المتعرشة؟ يصعب علي المرء تخيل أنه ابن الحارس.

دق قلب الرجل دقة مكتومة مكلومة. شيء ما أخبره بالإجابة قبل أن تأتيه.

طفل! نظر المحامي بارتباك. لم أري أحدا. ليس للأطفال صلة بهذه الحديقة كما أنه لا يوجد حارس لها. لقد أغلق المنزل تماما منذ أحد عشر عاما عقب وفاة الخادمة العجوز التي كانت تدعي حنا.

عندما وصلا إلي الشرفة كانت الشمس الغاربة قد انجلت عن النوافذ. بدا جليا أن المنزل خالي الوفاض. كانت المصاريع مرتفعة وألواح الزجاج داكنة ومتسخة بفعل الأحوال الجوية. أقامت الطيور أعشاشها في المدخنة - التي ظلت أحجارها باردة لوقت طويل- دون أن يزعجها أحد.

لقد ارتضي موكلي شراء الأبعدية طبقا للشروط المقترحة في بادئ الأمر. أضاف المحامي: انه يعتزم الاستثمار العقاري في هذه المنطقة، وبالطبع سيتعين عليه قطع الأشجار.

سرت هبة من الهواء خلال قمم الأشجار فارتعدت.قاطع الرجل المحامي قائلا: آسف لتحملك عناء المجيء إلي هنا لكني قررت الاحتفاظ بالمكان الذي يفوح منه عبق التاريخ كما هو بكل ما فيه. أعتقد أن من الخطأ أن تفقده العائلة. يجب أن أدبر أموري المالية دون اللجوء إلي بيعه.

وهكذا استرد الرجل خيالاته الصغيرة عن فترة صباه البائدة.

ست قصائد

"Jenny Kiss'd Me" by Leigh Hunt (1784-1859)

Jenny kissed me when we met,
Jumping from the chair she sat in.
Time, you thief, who love to get
Sweets into your list, put that in.
Say I'm weary, say I'm sad;
Say that health and wealth have missed me;
Say I'm growing old, but add -
Jenny kissed me!

جيني قبلتني

عندما تقابلنا
قفزت جيني من مقعدها وقبلتني
أيها الزمن. أيها اللص الذي يسلبنا
كل شيء جميل ... سجل علي لساني:
قل عني متعب، قل عني حزين
قل أن الصحة والثروة جافياني
قل أني أتقدم في العمر، لكن أضف
أن جيني قبلتني

"Not Waving But Drowning" by Stevie Smith (1903-1971)

Nobody heard him, the dead man,
But still he lay moaning:
I was much further out than you thought
And not waving but drowning.

Poor chap, he always loved larking
And now he's dead
It must have been too cold for him his heart gave way,
They said.

Oh, no no no, it was too cold always
(Still the dead one lay moaning)
I was much too far out all my life
And not waving but drowning.

لم أكن ألوح بل أغرق

الرجل الهالك ... لم يسمعه أحد
ظل هناك يتأوه
لقد كنت أبعد كثيرا مما ظننتم
ولم أكن ألوح بل أغرق

يال الشاب المسكين. كان دائما يلهو ويمرح
والآن لفه الردى

لابد أنها كانت باردة جدا
حتي توقف قلبه حسب روايتهم

لا، لا، لا، لقد كانت دوما باردة
ظل الرجل الهالك يتأوه
لقد كنت أبعد كثيرا جدا طيلة حياتي
ولم أكن ألوح بل أغرق

"Do not stand at my grave and weep" by May Frye (1905-2004)

Do not stand at my grave and weep
I am not there; I do not sleep.
I am a thousand winds that blow,
I am the diamond glints on snow,
I am the sun on ripened grain,
I am the gentle autumn rain.
When you awaken in the morning's hush,
I am the swift uplifting rush
Of quiet birds in circled flight.
I am the soft stars that shine at night.
Do not stand at my grave and cry,
I am not there; I did not die.

لا تقف علي قبري وتنتحب

لا تقف علي قبري وتنتحب
لا أرقد فيه. أنا لم أمت
أنا الرياح وقت هبوبها
أنا ندف الثلج برفق سقوطها
أنا زخات المطر الناعمة
أنا حقول الحب الناضجة
أنا في سكوت الصباح
وخفق الطيور الرشيقة الجميلة
حين تحلق وتحوم في دائرة

أنا في نجوم المساء ولمعانها
وتفتح الورود وإزهارها
أنا في حجرة هادئة
أنا هي الطيور الشادية
أنا كل شيء بهيج
لا تقف علي قبري وتبكي
.... لست هنا. أنا لم أمت.

"Rain" by Edward Thomas (1878-1917)

Rain, midnight rain, nothing but the wild rain
On this bleak hut, and solitude, and me
Remembering again that I shall die
And neither hear the rain nor give it thanks
For washing me cleaner than I have been
Since I was born into this solitude.
Blessed are the dead that the rain rains upon:
But here I pray that none whom once I loved
Is dying to-night or lying still awake
Solitary, listening to the rain,
Either in pain or thus in sympathy
Helpless among the living and the dead,
Like a cold water among broken reeds,
Myriads of broken reeds all still and stiff,
Like me who have no love which this wild rain
Has not dissolved except the love of death,
If love it be for what is perfect and
Cannot, the tempest tells me, disappoint.

المطر

منتصف الليل ولاشيء سوي الأمطار العاتية
تنهمر فوق رأسي وعلي الكوخ النائي المنعزل
فأتذكر من جديد أني سألقي حتفي
ولن أسمع صوت الأمطار فأشكرها

لأنها غسلتني وطهرتني
منذ أن ولدت في هذا القفر
طوبي للأموات الذين تهطل الأمطار فوقهم
وهاأنا ذا أصلي من أجل ألا يموت الليلة
شخص أحبه أو يرقد مؤرقا
يسمع المطر
يتقلب في ألم وشفقة بين الأموات والأحياء
لا حول له ولا قوة
كالماء البارد وقد غمر آلاف
من أعواد النبات المتكسرة فتجمدت وتصلبت
مثلي أنا بعد أن أذابت الأمطار وجرفت
كل حب شعرت به عدا حب الموت
الحب يرنو ويتوق للكمال
لكن العاصفة تنبئني بخيبة الأمل

"I Listen to the Desert Wind" by Keith Douglas (1920-1944)

I listen to the desert wind
that will not blow her from my mind;
the stars will not put down a hand,
the moon's ignorant of my wound

moving negligently across
by clouds and cruel tracts of space
as in my brain by nights and days
moves the reflection of her face.

Like a bird my sleepless eye
skims the sands who now deny
the violent heat they have by day
and she denies her former way

all the elements agree
with her, to have no sympathy
for my impertinent misery
as wonderful and hard as she.

O turn in the dark bed again
and give to him what once was mine
and I'll turn as you turn
and kiss my swarthy mistress pain.

رحت أنصت لرياح البيداء

رحت أنصت لرياح البيداء
فما عصفت بطيفها من عقلي
ولا حنت النجوم بلمسة
ولا عبأ القمر بجرحي

هاهو في الفضاء بين ثنايا السحاب
يمر ويمضي غير مبال
كما في ذهني عبر الأيام والليالي
يرتحل محياها

عيني كطائر جافاه النوم
تمسح الرمال الباردة التي تبرأت
من حرارة النهار المتقدة
كما أنكرت هي سابق عهدها

كل الأشياء تواطئت
معها في ظلمها
وجفوتها لحزنى ويأسي
تلك الأشياء مثلها .. مدهشة وقاسية

آه اضطجعي في الفراش خلسة من جديد
وامنحيه ما كان لي ذات يوم
وسآوي مثلك
لأقبل رفيقتي .. آلامي البائسة

"The Paradox of Our Times"By Jeff Dickson

The paradox of our times in history is that
we have taller buildings, but shorter tempers;
wider freeways, but narrower viewpoints.

We spend more, but have less;
we buy more, but enjoy it less.

We have bigger houses and smaller families;
more conveniences, but less time.

We have more degrees, but less sense;
more knowledge, but less judgement;
more experts, but more problems;
more medicine, but less wellness.

We drink too much, smoke too much, spend too recklessly,
laugh too little, drive too fast, get too angry too quickly,
stay up too late, get up too tired,
read too seldom, watch TV too much,
and pray too seldom.

We have multiplied our possessions, but reduced our values.

We talk too much, love too seldom, and hate too often.

We've learned how to make a living, but not a life;
we've added years to life, not life to years.

We've been all the way to the moon and back,

but have trouble crossing the street to meet a new neighbor.

حياتنا الزاخرة بالمفارقات

هذا ما سيسجله التاريخ عن متناقضات عصرنا
أبنيتنا تتعالي وأعصابنا تتهاوي
اتسعت طرقنا وضاق أفقنا
ننفق الكثير ونحصل علي القليل
نشتري الكثير ولا نستمتع إلا بالقليل
منازل مشيدة وأسر مفككة
كثير من الرفاهية وقليل من الوقت
شهادات جامعية رفيعة وإدراكات ضئيلة
تتنامي المعرفة وتتراجع الحكمة
خبراء عديدون ومشاكل متزايدة
أدوية متقدمة وصحة متدهورة
نشرب بإفراط، ندخن بشراهة وننفق ببذخ
نضحك قليلا، نقود برعونة ونشطاط غضبا
تطول سهراتنا وتنهك أجسادنا
نادرا ما نصلي. تجافي أعيننا الكتب وندمن التلفاز
تضاعفت ممتلكاتنا وتدنت قيمنا
ترغي ألسنتنا وتبغض قلوبنا
تعلمنا تدابير الحياة ولم نحياها
طالت أعمارنا وجدبت سنواتنا
انطلقنا إلي القمر مرارا وتكرارا بيد أننا فشلنا في ملاقاة الجدد من جيراننا.

مقتطفات من أدب الرحلات

رحلة حاج معاصر إلي مكة



للرحالة الإنجليزي : أرثر جون بنج ويفيل

المؤلف في سطور:

مؤلف الكتاب هو الرائد / آرثر جون بنج ويفيل Arthur John Byng Wavell (1882-1916) الحاصل علي وسام الصليب الحربي.

- ولد لضابط في الجيش الإنجليزي برتبة العقيد والذي حارب في القرم، كما كان جده لأبيه جنرالا بالجيش أيضا، وابن عمه هو المارشال ويفل الذي ذاع صيته في النصف الأول من القرن العشرين.
- تلقي آرثر تعليمه في الكلية الحربية الإنجليزية المعروفة بساندهيرست.
- في عام 1900 تم تمركزه في جنوب أفريقيا وشارك في حرب البوير هناك، كما تمركز في شرق أفريقيا لبعض الوقت وقام برحلات استكشافية لصحراء كلهاري وبحيرة فيكتوريا.
- في عام 1908 تخفي في ملابس عربية كمواطن من زنزبار [١] درس الطب في إنجلترا ليقوم برحلته إلي الحجاز وهي الرحلة موضوع الكتاب [٢] الذي صدره بإهداء إلي أمه و طبع بعد

---

[١] جزيرة شرق تنزانيا (المترجم)

[٢] لا يختلف اثنان علي أهمية كتابات الرحالة الغربيين كمصدر أساسي لتاريخ شبه الجزيرة العربية. بالرغم من قرب هذه المنطقة جغرافيا من أوروبا إلا أنها ظلت في مجملها مكانا مجهولا للأوربيين حتى مطلع القرن التاسع عشر حين زاد اهتمام المستكشفين والمستشرقين بهذه البقعة لأسباب عديدة منها:
- أسباب شخصية (حب المغامرة)
- أسباب دينية (التنصير)
- أسباب تجارية (خاصة الخيول العربية)
- أسباب علمية بحثية (تلك التي كانت تدعمها الجمعيات العلمية)
- أسباب عسكرية (الاستخبارات وتمهيد الطريق أمام الاستعمار)

وأحسب أن كتابنا هذا يندرج تحت هذا التصنيف فكاتبه عسكري المنشأ، بل وأكاد أجزم أن فيلبي ولورانس العرب T. E. Lawrence قد استفادا كثيرا من كتب ويفل. كان ويفل أول من سافر من الرحالة الأوربيين إلي المدينة بالقطار وأفرد فصلا كاملا لخط سكك حديد الحجاز والذي لعب دورا هاما في أحداث الثورة العربية. (المترجم)

عشر سنوات من كتابته وسنتين من وفاة مؤلفه وهو في ريعان الصبا.

- خلال عامي 1910 و 1911 ذهب إلي اليمن وكان شاهدا علي الحرب هناك بين أنصار الإمام الزيدي والأتراك العثمانيين وسطر مشاهداته في كتاب عده البعض جزءا تاليا لكتابنا هذا ومكملا له لكن دور النشر آثرت طبعه منفصلا.
- جرح في عام 1914 في مدينة مومباسا الكينية خلال الحرب العالمية الأولي.
- في عام 1916 وأثناء استبساله في الدفاع عن خط سكك حديد أوغندا الهام جدا للإمبراطورية البريطانية أغار الألمان علي مجموعته وسقط صريعا في الاشتباكات وقبره موجود هناك.
- نعاه الرائد / ليونارد داروين Leonard Darwin ، رئيس الجمعية الجغرافية الملكية في زمنه قائلا:"كان شابا ضئيل الجسم، كثير الصمت، خفيف الظل، متقد الذكاء، محبا للمخاطرة".

الفصل الأول
من لندن إلي بيروت

كما نعلم فإن بمكة بيت حظي بالتبجيل في الجاهلية. ولكي نفهم كيفية وعلة قضاء الرسول علي عبادة الأصنام ونشر الإسلام دون المساس بقدسية الكعبة يتعين علينا أن نتتبع قصة بسيطة وردت في الكتاب المقدس مع إعادة صياغتها طبقا لوجهة النظر الإسلامية.

تعود أصول بناء الكعبة إلي آدم الذي سعي لمحاكاة بيت كان قد شاهده في الفردوس قبل هبوطه إلي الأرض. أعاد إبراهيم وإسماعيل البناء بعد الطوفان وكرساه لعبادة الإله الواحد. مرت القرون وانحرف العرب عن الدين الصحيح فتعددت أوثانهم، لكن – بالرغم من هذا الميل وهذا الزيغ عن درب المعبود الحق الذي رفعت قواعد البيت العتيق بغية مرضاته - ظل العرب يجلون الكعبة.

تلك كانت الأوضاع حين شرع محمد في نشر رسالته. مع بدء الدعوة ولي والمسلمون شطرهم في الصلاة نحو القدس. ولأن مفهوم القبلة هو الاتجاه نحو أقدس بقعة علي وجه البسيطة، جاء الوحي ليستبدل القدس بمكة التي شرفت بأول وأطهر بيت. والحج إلي مكة وأداء المناسك مرة في العمر فرض علي كل مسلم شرط توفر الاستطاعة.

يعتقد نقاد من غير المسلمين أن تغيير القبلة يعزي إلي أسباب سياسية وأن ما تناقله المكيون أنفسهم من أحاديث خلال فترة ليست هينة من حياة الرسول معهم قد شكلت هدفه الأساسي. اعتمد الرخاء المادي للمكيين في ذاك الوقت وحتى يومنا هذا علي قدسية المدينة، لذا كان الاحتمال الأكبر أنهم – عاجلا أم آجلا – سوف يصغوا إلي دعوة الدين الجديد وصوت العقل طالما أنه لن يمس قدسية البلدة. بهذه الوسيلة الماهرة حقق محمد النجاح بل لقد أضاف الكثير إلي هذه القدسية. كما يعتقد هؤلاء النقاد أيضا أن صراعه مع اليهود كان أيضا سببا من أسباب تحويل القبلة.

أي كان التفسير فإنه قد استقر في ضمير المسلمين أن الكعبة ومكة بل والإقليم المحيط بهما يتمتع بصفة التقديس الشديد حتى أنه لا يجرؤ غير الموحد علي وطء هذه الأراضي المقدسة. هناك احتمال ضعيف بأن الرسول حرمها علي اليهود والنصارى. لقد تمتع بعقلية أكثر تفتحا من خلفاءه لكنهم فسروا أحاديثه علي هذا النحو. ومن الغريب أنه لم تسجل واقعة واحدة لشخص جاهر بانتهاك هذه التعليمات وعاد يحكي لنا قصته.

امتد تأثير هذا الحظر ليشمل المدينة التي تمتعت بقدسية خاصة ذلك أن الرسول وكثير من صحابته قد دفنوا فيها. من أجل هذا تضع أغلب الفرق الإسلامية قيمة كبيرة علي هذه الزيارة ويري الشيعة أنها تعدل في جدارتها حجة.

لذا ليس من المستغرب حقا أن تثير هاتان المدينتان بسماتهما الفذة الفضول الشديد لأوربا الغربية. وقبل أن نستطرد ليكن واضحا أنه بمقدور أي شخص أن يزورهما بعد أن يعلن إسلامه. ينبغي عليك لكي تعتنق هذا الدين أن تذهب إلي القاضي لتردد بعض الصيغ ثم تخضع، في أغلب الأحيان، إلي عملية جراحية بسيطة (الختان) ويلي ذلك التورع لكي يشهد المسلمون الذين تخالطهم بأنك مخلص في تحولك لهذا الدين ومن ثم تستطيع أداء فريضة الحج. وإذا كنت من الصابرين ودأبت علي مراسلة ديوان الخارجية والباب العالي فقد تظفر بعد استنفاذهما لكل الذرائع والحجج والأعذار بجواز سفر خاص. عند حصول شخص ما علي هذا الجواز تصبح الحكومة العثمانية مسئولة عن شئونه فتمكنه من السفر إلي مكة والمدينة دون التعرض لمخاطر وربما وفرت له أيضا العناية والإرشاد. وعلي وجه العموم فإن هذه الشرعية أو الحماية لا تدفع عن هذا الشخص فضول الناس أو شكوكهم.

البديل الوحيد لزيارة هذه الأماكن هو التنكر ، وهو أمر قد لا يروق للبعض.

سلكت هذا النهج بين عامي 1908-1909 مدفوعا بحب الاستطلاع جزئيا وكليا برغبة في التوغل في الأراضي الداخلية متخفيا. بعد أداء المناسك بمكة في أيام معدودات يعرف الشخص بالحاج، وهو لقب عظيم النفع للمسافر في الأقطار الإسلامية لما يقترن به من سمعة طيبة.

وتروي الصفحات التالية التي قمت بتدوينها عقب عودتي قصة هذه الرحلة التي لم يخطر علي بالي آنذاك فكرة نشرها في كتاب. تظهر هذه الرحلة بكل الأشكال الممكنة حقيقة أن الحجاز – كما كان دوما- أرض عصية علي الاختراق. يلزم علي أن أوضح عند هذه النقطة أن "مسعودي" هو شخص من أصول سواحلية عملت علي اصطحابه من مومباسا إلي إنجلترا ليساعدني في إنجاز مشروعي هذا وأما "عبد الواحد"[1] فهو عربي من حلب مقيم في برلين وعمل لحسابي لاحقا.

تجمع ثلاثتنا في ميناء مرسيليا يوم 23 سبتمبر 1908. كان من المفترض أن يبدأ الحج ذاك العام في مطلع شهر يناير ويرجع تبديرنا إلي ما عقدت عليه النية من زيارة المدينة أولا والمكوث لبعض الوقت في دمشق حتى أتقن تقمص الشخصية الشرقية فيطمئن قلبي قبل ولوجي في الأراضي المحرمة.

أول ما واجهنا من صعاب هو استخراج جواز سفر لي ولمسعودي. كان لعبد الواحد جوازا يحتاج فقط إلي التجديد. قمنا ببعض الإجراءات لكي نتغلب علي هذه المشكلة فظفرت بجواز سفر تركي أدعي فيه بعلي محمد، في الخامسة والعشرين من العمر، مواطن من زنزبار يقصد مكة. وقعت هذه الوثيقة لاحقا في يد السلطات التركية فأثارت بعض المتاعب ولم يكن أمامي مناص من الإدعاء بأن المسئول الذي أصدرها لم يدرك أني إنجليزي وأنه لم يتقاضي أي رشوة لإنهاء هذا الأمر.

وصلنا إلي حل مرض فيما يتعلق بمسالة جوازات السفر وتطلعنا إلي مغادرة مرسيليا. صحيح أن الفندق الذي أقمنا فيه كان رخيص الثمن (ثلاثة فرانكات في اليوم) إلا أنه كان نتن الرائحة. أمضينا الظهيرة في التردد علي شركات الملاحة آملين أن نحصل علي تذاكر نوم درجة ثانية إلي مصر أو سوريا لكن سعينا باء بالفشل والحجز الوحيد الذي وجدناه متاحا كان علي الدرجة الأولي لباخرة مملوكة لشركة P & O[2] أو الثالثة نقل وكلاهما لا يناسبنا.

---

[1] في عرضه للكتاب بمجلة "Asian Affairs" ، عدد نوفمبر 2006 أوضح John Shipman أن ويفل عمد إلي إخفاء شخصية عبد الواحد وأن الأخير كان يدعي عبد المجيد ويقيم بلندن ويعمل بالتدريس والترجمة وأنه كان شيعي من بغداد (المترجم).

[2] "شبه الجزيرة والشرق" Peninsular and Orient .

عندها لاحت لي فكرة الذهاب إلي جنوة لمعرفتي أن بها شركات بحرية أقل شهرة تزاول نشاطا في الشرق وفيها – كما هداني تفكيري – يصعب اكتشاف حقيقة أمرنا إذا اضطررنا للمكوث لفترة طويلة، زد علي ذلك أني لم أطأ هذه المدينة من قبل. بعد أن عقدنا العزم أمضينا بعض الوقت في عمل الترتيبات الجديدة وغادرنا مرسيليا عند انتصاف المساء لنصل جنوة اليوم التالي في تمام الساعة الرابعة عصرا. أوينا إلي فندق رخيص في الطريق المؤدي إلي محطة الركوب. كانت حالة الفندق مزرية لكن أسوء ما فيه وأكثر ما أثار حنقي هو الضجيج الذي لا ينقطع في الشوارع الممهدة لدرجة أننا ألفينا صعوبة في سماع بعضنا البعض من فرط الصخب. مع حلول المساء مضينا إلي مكاتب الملاحة وحصلنا أخيرا علي قمرة درجة ثانية علي متن باخرة تدعي "ﭬاليرنو" وكانت أول السفن المخطط إبحارها بعد ثمانية أيام. لم يكن أمامنا بد من الصبر والانتظار نتيجة لهذه الظروف.

لم نفعل في جنوة أي شيء جدير بالذكر عدا تناول الطعام والنوم والقراءة والتجول في المدينة حتى تملك منا السأم. كان جيراننا من نزلاء الفندق تجارا إيطاليين لا يميلون إلي الخلطة ولا يتمتعو ن بحب الاستطلاع.

مساء يوم وافق الثلاثاء ركبنا الباخرة. كانت فاليرنو التي تناهز حمولتها الألفي طن سيئة المنظر. جهزت قمرتنا بست مضاجع وردهة متعددة الأغراض. خلا سطح المركب تماما من نزلاء الدرجة الثانية واقتصر علي عدد محدود من ركاب الدرجة الأولي المميزة. مضت الأيام الأولي علي السفينة بشكل هين يسير فلم يكن بها غيرنا، لكن بعد أن رست في نابولي تم شغل كل المضاجع. في الأوقات التي ثار فيها البحر أصاب المقيمين في قمرتنا الدوار وحين هدأت ثائرته رفعوا عقائرهم بالصخب. استغرقت رحلتنا إلي الأسكندرية تسع أيام كاملة. حملت السفينة جنسيات أوربية عديدة عدا الإنجليز. لم نخالط أحدا بمقتضي الحال وجلسنا منزويين في نهاية سطح المركب.

لإلمامي ببعض الفرنسية رحت أتحدث بها من حين إلي آخر مع شخص حسن الطلعة والهندام والذي أخبرني أنه كان ضابطا في معية الخديو ي، لكن غلب علي ظن قوي بأنه كان وصيفه.

ربطت السفينة في الأسكندرية في غسق الدجى ، لكننا لم نغادرها إلا صباح اليوم التالي. تم اصطحابنا إلي مكتب الجوازات فأخذنا تأشيرة الدخول حسب الأصول المرعية ثم انتقلنا إلي صالة الجمارك حيث أقررنا بعدم وجود ثمة ما نعلن عنه. يتعين علي أن أنوه أنه قبل الوصول إلي اليابسة أخذت كل التدابير لإخفاء المسدسات والذخائر في حوزتنا وكذا بعض المستندات التي قد تعرضنا للخطر كجواز سفري الإنجليزي ودفتر الشيكات وهلم جره، كما حوت حقائبنا بعض ساعات اليد وأشياء أخري جلتها عظيمة القيمة انتوينا تقديمها كهدايا لاحقا. وضعنا ما خف حمله وغلا ثمنه في جيوب الملابس حتى نجنبها الكسر، كما كان معنا حقيبة أدوية وأربطة وأشياء أخري من هذا القبيل. طلبوا منا فتح كافة الأمتعة وإخراج محتوياتها وقاموا بفحصها بكل عناية، كما انكبوا علي قراءة كل الوثائق وفتحوا كل الكتب ووضعوا أيديهم بشكل عنيف علي كل ما ظنوا ذا قيمة. بعد طرح الحقيبة الأولي أوعزوا إلينا بإعادة تعبئتها. أدركنا بعد كل هذا العناء مع الحقائب أنهم سيعرجون علي جيوبنا فدبرت أنا ومسعودي أمر إخفاء المسدسات والمستندات والأشياء الآخرين وبهذه الطريقة أمكننا تفريغ جيوبنا من محتواها، بيد أنه لم يكن من اليسير التحدث إلي عبد الواحد فأدركت أن في الأفق غيوم كارثة وشيكة. وكما غلب علينا الظن فلقد اقتادونا بعد الانتهاء من حقائبنا إلي مبني داخلي وفتشونا. لم يعثر علي أي ممنوعات معي أو مع مسعودي ولم يخرج من ملابسنا ما يثير الدهشة اللهم إلا مائتي جنيه ذهب،[1] أما عبد الواحد فقد أجبر علي إخراج ما في حوزته من مسدسات وذخيرة وبطاقات بريدية ومجوهرات والتي راحت تنهال بشكل غير منقطع. عم المكان الإثارة وانقض الموظفون علي المضبوطات، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم أزمعوا القبض علينا كأفراد مشتبه فيهم وعينوا علينا حراسة حتى وصول المدير الذي رأي -عقب وصوله بساعتين من الانتظار- أن القضية أكبر منه فأحالها إلي الباشا. ولأنه كان شهر الصوم فقد تأخر ظهور الباشا حتى الواحدة ظهرا، وعندما وصل أدركت علي الفور أنه واحد من هؤلاء الناس الذين يعانون من الصوم، فلقد كان مزاجه عكرا، فأخضعنا للتفتيش والاستجواب . أثارت حقيبة الأدوية والأدوات علي وجه الخصوص الاهتمام وقوبلت بعدم الارتياح ، وتعذر عليهم تخيل مدي جدوى هذه الأشياء لنا. من حسن الطالع أني أوعزت إلي عبد الواحد آنفا أنه في حالة احتدام النقاش فعليه أن يدعي ملكية هذه الأشياء

[1] خلال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حتي اندلاع الحرب العالمية الأولي عام 1914 كان التعامل يتم بالمقياس الذهبي. (المترجم)

ويمسك بتلابيب الحديث. لقد كنا مدينين بنجاتنا لهذه البصيرة وحسن الحظ الذي أرجع لنا الوثائق دون تدقيق. تحول جل الريب إلي عبد الواحد بصفته المخالف الرئيس وخرجت أنا ومسعودي من دائرة الملاحظة وبقي فيها عبد الواحد الذي لم يشك أحد في حسن نواياه بصفته عربي المنشأ. ظل عب الواحد يزبد ويرغي حتى حل بهم التعب فصرفونا في نهاية المطاف بحذر واحتفظوا بالموجودات في الجمرك مع إعادتها لنا عند رحيلنا إلي بيروت.

رأينا ضوء الشمس مرة أخري في حدود الساعة الثانية والنصف بعد الظهر وقد استبد بنا الجوع وحل بنا التعب، ومع هذا غمرنا شعور جلي بأننا – بعد كل ما جري وقيل- قد خرجنا بأقل خسائر. رفعت رأسي زهوا وأنا أستقبل تهاني عبد الواحد الحارة فيما يتعلق بالتخلص من الوثائق. لم يكن يعلم بهذا الصنيع ورأي- حال الإمعان في تفتيشنا علي الملأ علي نحو لا يضاهيه شيء في السوء- أنه حتما سيكشف النقاب عن ما في الجراب، لكن عندما مر الأمر بسلام تملكته مناصفة مشاعر بالدهشة والارتياح، وأحسست منذ ذلك اليوم أني زدت تقديرا في عينيه.

طلبت من حارس البوابات أن يشير علينا بفندق رخيص يناسب حالنا المتواضع ففعل دون تردد. كان الفندق أعلي محل حلاقة ويتكون من مجموعة من الغرف المتراصة. عندما دخلنا لنلقي نظرة أدركت أن الحارس قد بالغ في التقليل من شأننا. كان الفندق جد رخيص (فرانك لليوم) لكنه كان نظيف إلي درجة معقولة. بعد نزاع حانق مع الحمالين لمتاعنا سوينا معهم الأمر في النهاية. استبدلنا ملابسنا وتناولنا بعض الطعام وجددنا نشاطنا بقيلولة قصيرة واستعدنا قوتنا بالذهاب في المساء إلي حمام تركي.

عملت من باب الاحتياط علي حلق شعر رأسي حتى أنفي عني قدر المستطاع الشكل الأوربي كما ارتديت ملابس عربية وكذلك فعل الآخرون. كنا جميعا قبل هذه اللحظة نرتدي ملابس عادية والإضافة الوحيدة كانت الطربوش. أحسست بالسعادة عندما وجدت أن مظهرنا لم يثر أي اهتمام من نوع خاص. خلال الأيام القليلة التي أمضيناها في الأسكندرية كنا نواجه من حين لآخر بالسؤال عن منبت رأسنا حيث بدا واضحا أننا غرباء. عادة كان عبد الواحد يجيب بالنيابة عنا "بغداد" وفي

الحالات التي كان من الضروري فيها التوضيح فإن "زنزبار" كانت ترضي غرور المتطفلين.

في اليوم التالي حصلنا علي إجازة بالسفر علي ظهر سفينة البريد الخديوية إلي بيروت والتي كان مقرر لها الإبحار بعد ثلاثة أيام. أتاحت لي هذه الفترة فرصة التأقلم مع الظروف المعيشية الجديدة وكذا ممارسة المصرية الدارجة.إن عائق اللغة الذي يواجه غالبية المسافرين متخفيين ليس كبيرا كما يبدو. تتسم اللغة العربية بوجود لهجات عديدة شديدة التباين في نطقها وألفاظها، واحتفظ كلاهما بخصوصيات لم تحظي باهتمام ملحوظ. علي سبيل المثال قد لا يفهم شخص من اليمن حوارا بين مصريين بسهولة بالرغم من أنه قد يتحدث معهما دون صعوبة. ويعزي ذلك إلي أن الغرباء يميلون عند التواصل إلي ضبط النطق والقواعد ومحاكاة اللغة الكلاسيكية أو المكتوبة ويتجنبون الدارجة أو أي تنوع للنطق العامي والذي من شأنه جعل حديثهم يستعصى علي الفهم. زد علي ذلك وجود أعداد غفيرة من الناس في دول الشرق تنسب نفسها إلي العرب لكنهم في حقيقة الأمر فرس وأكراد وأتراك ... إلي آخره، وأعضاء النطق عند جلتهم عاجزة عن الإتيان بالنطق البدوي السليم فيما يتعلق بخصائص الأصوات الصامتة المتعددة في اللغة العربية. وينطبق ذلك أيضا علي المصريين فمواليد القاهرة لا يحسنون نطق الضاد ويستوون في ذلك مع قاطني كلافام كومون [1]. تغلبت علي كل الصعاب بطريقة بسيطة وهي الإدعاء بأن اللغة العامية في زنزبار هي السواحيلية وأنه لا يتحدث أحد هناك العربية وهذه حقيقة. لم يتحدث أحد ممن قابلت السواحيلية علي الإطلاق وبناءا عليه كان بمقدوري التشاور مع مسعودي وقت الشدة علي الملأ دون أدني خوف من افتضاح أمرنا وتلك ميزة لطالما استغللتها. حرصت دوما علي التحدث معه بسرعة حتى أترك لدي الآخرين انطباعا بأني أتحدث لغتي الطبيعية، وفي المناسبات القليلة التي اضطررت فيها إلي التحدث بالسواحيلية لأناس تعتبر لغتهم الأم كنت أعمد إلي قلب الجملة وأتحجج بأني ولدت في مسقط وأن لغتي الأصلية هي العربية. لم أقابل شخصا علي دراية بهاتين اللغتين وعانيت كثيرا – بطبيعة الحال– لتجنب الاحتكاك بمن يمكنه ذلك حتى لا يكتشف أمري، وأحسب أن بيرتون انتهج نفس الأسلوب في رحلته [2] وهو أسلم ما تفعله في مثل هذه الظروف.

---

[1] منطقة تقع جنوب لندن (المترجم)

[2] رحالة إنجليزي قام برحلة إلي الحجاز متخفيا عام 1853 (المترجم)

غادرنا الإسكندرية حوالي الساعة الرابعة عصر يوم وافق الأربعاء. قبلها بساعتين توجهنا إلي صالة الجمرك لاستلام متاعنا ثم أخذنا إلي نقطة الشرطة لفحص جوازاتنا وهيئتنا فحصا دقيقا للوقوف علي أوجه الاشتباه بيننا وبين صور المجرمين المسجلين التي علقت علي الحائط. بعد أن أطمئنت الشرطة إلي هذا الأمر أحالونا إلي الحجر الصحي حيث فتحت أمتعتنا من جديد. تم إعفاءنا من التبخير لأن ملابسنا كانت نظيفة. انتقلنا إلي حجرة الانتظار لحين العرض علي الطبيب. كان الفحص هزليا جدا. وقفنا في طابور وانتقل الطبيب من شخص لآخر وقد أخذ ينقر منطقة الإبط بغرض اكتشاف أي تضخم للغدة، وهو العرض المميز للطاعون، لكن بالطبع لا يمكن كشف الحالات المتقدمة للمرض بهذه الطريقة كما أن هذه الحالات لا تقوي علي القيام بمثل هذه الرحلة، ومن ثم أري أنه لا طائل يرجي من وراء هذه الشكليات. إذا كان الفحص حتميا فلابد أن يكون دقيقا ليشمل قياس درجة الحرارة والتي تكفي لاكتشاف الحالات الأولية للمرض. إن لوائح الحجر الصحي المعمول بها في الوقت الحالي في هذا الجزء من الشرق ما هي إلا إجراءات مزعجة.

بعد انتهاء هذه المراسم أطلق سراحنا و سمح لنا بالصعود إلي الباخرة، وكانت من أكبر السفن التي تمخر عباب البحر في هذا الخط الملاحي وتستطيع حمل 5000 طن إذا أسعفتني الذاكرة. ازدحمت الباخرة أو علي الأقل السطح بالركاب. لم نجد مكانا إلا في مؤخرة السفينة وبدا جليا أننا تأخرنا في الصعود حيث شغلت أفضل الأماكن. بعد شجار كبير نجحنا في فرش حصيرتنا علي صندوق كبير ثبت إلي متراس الميناء. كان الموقع مميزا لنظافته وبعده عن الزحام. بعد فترة قصيرة من الإبحار جاءنا من يعترض علي هذا المكان لكن سبق السيف العزل فلم يكن من اليسير تغيير المكان. اتضح بعد ذلك أنه صندوق الثلج وتعين علينا طوال الرحلة طي أغطيتنا وجمع متعلقاتنا والنهوض كلما أراد الطاهي فتح الصندوق الأمر الذي سبب لنا ضيقا شديدا وساهم في تسلية بقية الركاب. كان معدل تكرار هذا الأمر يوميا حوالي عشر مرات في المتوسط. ذاك المساء عرض علينا السفان [1]، وهو تركي الجنسية قمرته

---

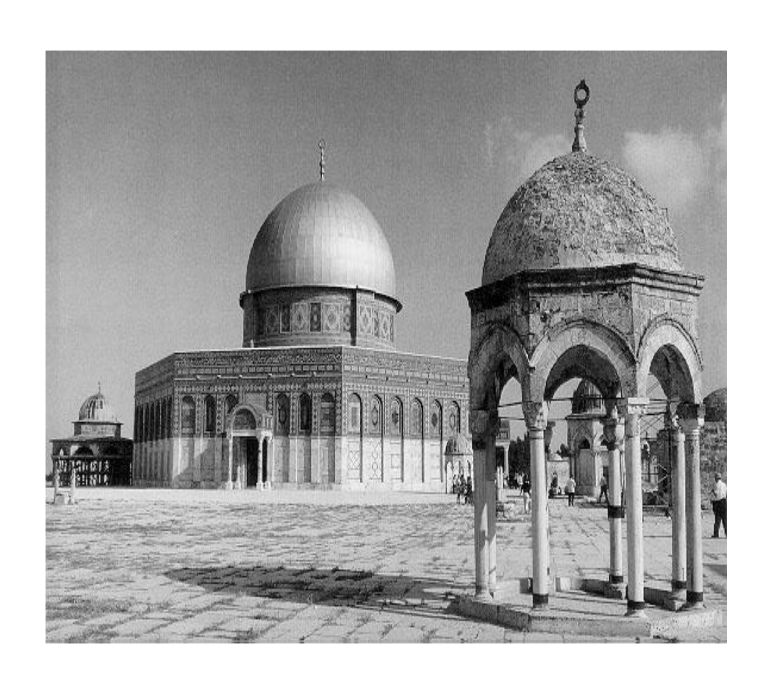
[1] الشخص المسئول عن سطح المركب. (المترجم)

مقابل جنيهين. عرضنا عليه عشرة شلنات ثم تراضينا كحل وسط بدفع فرنك.

كانت القمرة فوق الدفة مباشرة وحوت فراشين. صحيح أنها منحتنا بعض الخصوصية التي كنا ننشدها وجنبتنا من الطقس السيئ لكن جافانا النوم فيها بسبب الحرارة والجو الخانق والبراغيث التي استوحشت أحجامها بها.

مثل الركاب خليطا من شتي الأجناس والألوان فهناك اليونانيون والإيطاليون والمصريون والأتراك والعرب من سوريا والمغرب العربي وقد ضاق بهم السطح حتي تعذر علي المرء المرور وشق الطريق دونما وطئ أحدهم بالأقدام.

رحلة إلي مصر والأراضي المقدسة



للرحالة الأمريكي : هنري هارمن

<u>المؤلف في سطور:</u>

قام هنري هارمن، أستاذ اللغات القديمة بكلية ديكنسون بولاية بنسلفانيا، بهذه الرحلة بين عامي 1869 و1870. ونشر كتابه عنها عام 1873 وأهداه إلي جيمس ماكيولي، أستاذ اللاهوت وعميد الكلية سالفة الذكر. سافر هارمن من نيورك إلي ليفربول ثم نابولي ثم الأسكندرية. ويلاحظ

أن مرفأ الأسكندرية كان نقطة الولوج إلي الشرق حتى الربع الأول من القرن العشرين.

الفصل الثالث

في باكورة صباح يوم الرابع من ديسمبر بدأنا في مشاهدة الشواطئ الواطئة لمصر. رأينا قصر الباشا [١] والعديد من طواحين الهواء إلي

[١] قصر رأس التين. (المترجم)

اليمين من موقعنا [١]. صعد مرشد عربي يرتدي ثياب فضفاضة وقبعة تركية[٢] إلي متن الباخرة التي ولجت في ميناء الأسكندرية وألقت مراسيها في الثامنة صباحا علي وجه التقريب. لاحظنا وجود العديد من البواخر الجيدة رابطة في الميناء وشاهدنا لأول مرة شعار الإسلام مرفرفا عليها والذي يمثله الهلال مع وجود نجمة أو أكثر في تجويفه. بادر ملاحي القوارب من العرب إلي التوجه نحو السفينة التي تقلنا وتزاحموا علي متنها وتدافعوا في عزم وتصميم ليستأثروا بالركاب دون إرادتهم لنقلهم إلي اليابسة. ساومت أحدهم فإذا بآخر يوعز لي بأني ورطت نفسي. بعد بضع دقائق من التجديف وجدت نفسي في مكتب الجمارك حيث تم فحص أمتعتي. تقضي الإمبراطورية التركية بوجوب وجود جوازات سفر مع المسافرين. بعد انتهاء التفتيش لحق بي أحد موظفي الجمرك ليحصل علي البقشيش.

أول ما يصدم عين المسافر عند نزوله ببر مصر هو القذارة الموجودة في كل مكان. شققت طريقي عبر الطرقات المتسخة خلف الشيال الذي حمل حقائبي. قادني الحمال أولا إلي فندق "أوربا" الذي تبلغ تكلفة الإقامة فيه خمسة عشر شلنا في الليلة، لكن لم ترق لي الهيئة التي بدت عليها مقتنياته، فتوجهت إلي فندق "شبه الجزيرة والشرق"[٣] والذي تصل تكلفة الليلة فيه إلي ستة عشر شلنا، والسعر مع ذلك ممتاز حيث أنه أفضل فندق في الإسكندرية. عرجت علي محل حلاقة وهناك حلقت شعر وجهي مقابل فرانكين أو ما يعادل ثمانية وثلاثين سنتا مما يعد غرما كبيرا لجيبي فأخبرت الحلاق أن المبلغ المطلوب كبير فرد قائلا "هذه هي مصر."

تقابلت مع السيد إيركسون من روشيستر بنيورك ومعه خادمه الذي استأجره في فرنسا ومترجم من مواطني مالطا [٤] وكانت طيبة [٥] هي وجهته ومقصده. تكرم هذا السيد بدعوتي للتجول معه في المدينة. ذهبنا إلي عمود بومباي. [٦] ومسلة كليوباترا. [١] صنعا هذين الأثرين من

---

[١] لم تعد هذه الطواحين موجودة الآن. (المترجم)

[٢] طربوش. (المترجم)

[٣] أغلب الظن أن هذا الفندق كان يتبع شركة P&O, Peninsular and Orient (المترجم)

[٤] برع المالطيون في اللغة العربية، ويجب ألا ننسي أن مالطا خضعت لفترة طويلة للحكم العربي وأن أكثر من نصف مفردات اللغة المالطية من أصول سامية. (المترجم)

[٥] الأقصر الآن. (المترجم)

[٦] يعرف الآن عمود السواري. (المترجم)

الجرانيت الصلب المائل إلي الحمرة والمسمي بالسينايت وهي نفس الخامة التي نحتت منها بقية مسلات مصر. يقع عمود بومباي في جنوب المدينة علي ربوة صغيرة لا تبتعد كثيرا عن بحيرة مريوط بالقرب من مقابر المسلمين.[٢] وطبقا لما أورده ويلكنسون [٣] فإن ارتفاع العمود يصل إلي ثمانية وتسعين قدما وتسع بوصات [٤] أما طول جسم العمود فيبلغ ثلاثة وسبعين قدما ومحيطه تسعة وعشرين قدما وثمانية بوصات.
ويفترض ويلكنسون أن هذا الأثر هو شاهد صامت علي استيلاء دايوكليشن علي الإسكندرية عام 296[٥]. أما مسلة كليوباترا التي تعرضت للتلف بشكل كبير فتنتصب بالقرب من الميناء الكبير أو ما يعرف الآن بالميناء الجديد ليس بعيدا عن ميدان القناصل [٦]. ووفقا لويلكنسون فإن ارتفاعها يصل إلي سبعين قدما ومحيطها عن القاعدة سبعة أقدام وسبع بوصات. يروي أن أحد القياصرة جلب هذه المسلة من هيليوبلس.

شاهدنا في ضواحي الإسكندرية بعض البدو في مضاربهم. شققنا طريقنا بين الكلاب المتوثبة في اتجاه احدي الخيام. كانت خيمة صغيرة، ليس بها ما يلفت الانتباه عدا أسنان جميلة ناصعة البياض لامرأة وصبي حلوق الشعر عدا خصلة في مقدمة رأسه، كما شاهدنا امرأة تدير رحاية، وبشرة كل من قابلنا تميل إلي اللون النحاسي.

في ظهيرة يوم السبت امتطيت حمارا كشيء جديد بالنسبة لي متوجها إلي البازار. بدا الأمر هزليا، رجل يبلغ طوله ستة أقدام يركب حمارا صغيرا! نظرت حولي لألتقط ضحكات الناس علي المنظر فلم أجد وأدركت أن الأمر لا يثير الغرابة، والشخص الوحيد الذي وجده كذلك، كما أخبرني لاحقا، هو سيدة أمريكية كانت ترقب المشهد من شرفة الفندق. في الإسكندرية لا شيء يبدو غريبا أو خارجا عن المألوف. ابتعت من البازار قبعة تركية دفعت فيها ثلاثة فرانكات وكان البائع مصمما علي تقاضي ستة فرانكات.

---

[١] هذه احدي المسلات الثلاث التي حملت ونصبت في باريس، لندن ونيورك ، وأغلب الظن أنها المسلة التي نقلت إلي لندن عام 1877 أي بعد أقل من عقد من قيام هارمن برحلته. (المترجم)

[٢] مقابر كوم الشقافة. (المترجم)

[٣] Sir John Gardner Wilkinson عالم مصريات بريطاني في القرن التاسع عشر. (المترجم)

[٤] يقصد هنا ارتفاع العمود بالقاعدة والتاج. (المترجم)

[٥] Diocletian ، إمبراطور روماني 244-311. (المترجم)

[٦] Frank Square ، ميدان المنشية حاليا. (المترجم)

في صباح يوم الأحد تدبرت مرشدا قادني إلي الكنيسة القبطية.[1] أصابني الإحباط لأنه لم يكن هناك قداسا مقاما في الكنيسة الكبيرة والسبب هو خضوعها لعملية ترميم. أنشدني أحد الأقباط بعض الترانيم القبطية لكن سرعان ما حل به الإرهاق لأني لم أعطيه إكرامية معتبرة. لاحظت أن ليهم أناجيل باللغة العربية كما شاهدت علي مقربة العديد من القبطيات بلونهن النحاسي البراق يرتدين زيا جميلا ويلبسن اليشمك [2]. هممت بالاقتراب من النسوة الخجلات فبدا عليهن الخوف ونصحني المرشد بالعزوف عنهن فرفضت ذلك بإباء وشمم قائلا له: "أنا أمريكي." ومن ثم قمت بتحية النسوة معبرا عن احترامي لهن. عاينت بئر الغطاس الذي يعمد فيه مواليد القبط فلم أجده كبيرا ليستوعب البالغين.

غادرت المكان متوجها إلي الكنيسة الإنجليزية حيث وجدت حشدا يتراوح بين خمسة وسبعين ومائة فرد. خلق التباين في الهيئة التي بدا عليها الإنجليز بلباسهم الأنيق والصورة المزرية للسكان المحليين مفارقة ملفتة للنظر. علي أي حال استمعنا جميعا إلي موعظة حسنة مؤثرة.

لم أفلح في التمييز بين قبط ومسلمي مصر فأحجامهم معتدلة وبشرتهم نحاسية أو قل بنية تميل إلي الحمرة [3]. مما لاشك فيه أن نسب الأقباط يرتقي إلي المصريين القدماء، لكن عرقهم ليس صاف تماما أو منزها عن التهجين لأن أسلافهم في العهود المبكرة للمسيحية صاهروا اليونانيين والنوبيين والأحباش وآخرين. حين تتفقد الرسومات والمنحوتات في القبور والمعابد تلمس بعض نقاط شبه مذهلة بين القبط والمصريين القدماء وتدرك أنه- إجمالا- يوجد تفاوت كبير مرده ببساطة إلي تزاوج القبط كما ذكرنا آنفا. عيون القبط بشكل عام سوداء ومسحوبة وكبيرة أما أنوفهم فطويلة والمنخارين يميلان إلي الاتساع. وعلي العموم فإن الأقباط متوسطي الحجم أو يكادون، وهكذا كان المصريون القدماء كما تنبؤك مومياواتهم [4]. ينتمي الأقباط إلي طائفة مسيحية تعتقد في الطبيعة الإلهية الواحدة للسيد المسيح، وهو أمر أدانه مجمع خلقودنية في القرن الخامس. بقي لي أن أشير إلي أنه هناك جزء يسير من القبط ينتمي إلي الكنيسة الرومانية والأرذوسكسية اليونانية. هذا ويوجد في هذه المدينة عدد من الكنائس قد يصل إلي عشرة.

---

[1] الكرازة المرقصية. (المترجم)
[2] قطعة قماش لونها أبيض تغطي الأنف والفم. (المترجم)
[3] المقصود قمحية. (المترجم)
[4] لين "المصريون المحدثون" ج 2 ، ص 212-213.

في ظهيرة يوم الأحد ذهبت برفقة السيد إيركسون لزيارة قصر الباشا الذي يقع في الجانب الشمالي للميناء القديم ويحظي بمطلات جميلة علي حركة السفن وشطر من المدينة. لا يمكنني نعت القصر بالمهيب فنظام بناءه أوربي. شاهدنا الثريا في إحدى الغرف وكذا أرائك تدعوك هيئتها للجلوس عليها. رأينا في إحدى الحجرات مائدة صغيرة مستديرة ذات ذوق رفيع صنعت من الرخام وسطحها من الموزايك المستعمل في أبنية روما القديمة ولا غرو فالطاولة كانت هدية البابا الحالي للخديوي.

يال غرابة مدينة الإسكندرية! يشعر الأوربي أو الأمريكي الذي ينزل بها لأول مرة وكأنه في عالم آخر. إن النقلة من نابولي إلي الإسكندرية جد مفاجأة ومغايرة. ما هذا المزيج من السكان!؟ النوبيون ببشرتهم الفاحمة، الأحباش، الأقباط، الأرمن، اليونانيون، العرب، الإنجليز، الفرنسيون، الإيطاليون والأمريكيون ثم هناك الجمال والخيول والحمير والكلاب وخليط من اللغات.

هنا في الإسكندرية تطغي الحياة الشرقية وهنا احتك الغرب مع الشرق وأظهر بشكل حاسم تفوقه. فقط تفرس في ابن البلد بأميته وهيئته المزرية ثم أدر عينيك إلي الأوربي بهندامه الحسن وذكاءه وحسه التقدمي مما يجعله يحس بالفوقية وبها ينظر إلي السكان الأصليين لهذه الأرض.

النساء بشكل عام غير سافرات الوجوه. يتخذ بعضهن حجابا لا يظهر سوي عيونهن، لكن الشكل الأكثر شيوعا بينهن هو الحجاب المربوط بقطعة من الخشب والمنتهي بخطاف يتصل بمقدمة الجبهة ويسدل من الجزء العلوي للأنف حتى أسفل الوجه. أقسي ما تقع عليه عيناك من مشاهد هو صورة النساء البائسات بلباسهن المتسخ، ولذا فنساء مصر بل والشرق بصفة عامة غير جذابات.

وعدا عن بؤس وشقاء الناس فمناخ مصر في الشتاء مذهلا وكذا تربتها.

تنتشر الكلاب في الإسكندرية وفي الشرق برمته ويبدو جليا أنها تنتمي إلي فصيل واحد يغطي الأقاليم من النيل حتى مضيق البوسفور[1]. لقد ظلت هذه الكلاب الضالة تنبح دون توقف طيلة مساء ليلة الأحد.

---

[1] تركيا. (المترجم)

الملاحق: النصوص الإنجليزية

THE CHOICE
BY ALLAN MONKHOUSE
____

CHARACTERS

MRS. LILLEY .
ELLA CHRISTIE .
ANNE .
MAJOR GREIG .

SCENE

The sitting-room of a country cottage. There is a French window leading into the garden at the back, and a door at the side of the scene .ELLA comes through the garden entrance with flowers in her hands. ANNE (middle-aged) enters from the side door with a letter on a tray. She offers it to ELLA .

ANNE .
THE postman says it's been delayed, Miss Ella .You see it's addressed to you at Mrs. Leslie's .

ELLA .
Leslie Lilley. They're not very near. Well put it down please, Anne. I suppose it 's somebody that doesn't know

She glances at the letter which ANNE has put on the table and some of the flowers fall from her hands .

ANNE .
It is for you all right, Miss, I suppose?

ELLA .
It 's for me, sure enough, Anne .

ANNE .
Well, I do hope it 's not anything to call you away, Miss Ella if I may say so. You know it's done the mistress a world of good to have you here. She holds her head very high and yet she frets since Mr .Walter's death and, oh dear! I shouldn't speak of it to you. What am I thinking of ? Forgive me, Miss Ella .

ELLA .
Since Mr. Walter's death ?

ANNE .
Well, when anyone's there she seems proud and almost happy like, but not when she's alone. And she is different with you more natural, because, of course, you too but oh ! Miss Ella, you're young .I'm talking to you very free you're young. A mother 's not the same .

ELLA .
I'm young. Well ?

ANNE .
I don't care, Miss Ella, if you do think me cheeky .I do care but I can't stop. I've known you since you were a girl and him too poor young man ever since his father died. I mind the day Mr. Walter went off to fight against them Boers and she said to me the mistress said " Anne, I shall never see him again." I said " Nonsense, ma'am," but I believed her. I never saw anyone look like him. Miss Ella, he didn't like going and no wonder leaving you behind and you only engaged a month. But now, Miss Ella, you'll forgive me, and I've known you a long time, and what I do say is one's enough to go on sorrowing. His mother well, she 's got nothing else. But I do say and you may be angry if you like I wish that letter there was from another from your sweetheart there !

ELL**A**.

after a short pause

How do you know it isn't, Anne?

ANNE .
Oh! Miss Ella, is it?

ELLA .

Well, perhaps he would like to be .

ANNE .
Then if he's good and if you like him don't send him away. I'm speaking as one woman to another. Don't miss the chance. You'd have plenty more but if you do like him

MRS. LILLEY enters .

MRS. LILLEY .
Was it the postman, Anne?

ANNE .
It was a letter for Miss Ella, ma'am.

Exit ANNE .

ELLA .
It's from Major Greig .

MRS. LILLEY .
Ah! my dear Ella and you havn't opened it .

ELLA .
I've hardly had time. Anne has been talking to me, and besides, I'm trying to think a bit first .

MRS. LILLEY .
Let me help you .

ELLA.

Takes up the letter.

He 's got your name wrong Mrs. Leslie. I wonder how he got your address. And I came here to be quiet and to think and to talk to you. I don't know whether I am glad or sorry that he has found me out. Anne says it has been good for you my being here but I came quite selfishly. I wanted to see things through your eyes .

MRS. LILLEY .
My dear, what I can say is only, again and again, Walter is dead and you are young .

ELLA .
It 's fine of you to say it. And yet yes, there are times when you want me to leave you alone. I think I understand you. I shall never forget Walter. No you don't want that. But if I well, if I marry you'll seem to have him more to yourself. You want that. You love me, but you would like me out of the way. You are a little jealous, you know .

MRS. LILLEY .
I'm his mother, my dear, and you are young. It 's all natural .

ELLA .

Yes, I'm young. I keep hearing that. Oh! I know it's intolerable to renounce youth. I can't live on memories, I know. And yet it seems like giving him up. It 's a kind of treachery. I want a milder word. Fickle? But I wouldn't have been fickle .

MRS. LILLEY .
No, no, my dear. He would have wished for this. Nay, I am confident he does wish it. He wants you to be happy. This Major Greig I should like to see him. I only want to know that he's good enough for you and then Ella, was he at the War? Do you think he could ever have met Walter?

ELLA .
He was at the war. He won't talk about it .

MRS. LILLEY .
No, these brave men won't talk. If Walter had come home we should never have got anything out of him. But it's hard that we shouldn't know how it all happened. I think they might have found out more. I thought if I'd gone out there but it's too late now. I know he died nobly heroically. I know that. Had Major Greig heard of him ?

ELLA .
Of Walter ? I never spoke of him. He knows I was engaged, but I never mentioned Walter's name .

MRS. LILLEY .
Of course, he hadn't time to make himself famous .

ANNE enters

ANNE .
If you please, ma'am, there's a gentleman at the garden gate. He seems to be looking at the house, but he doesn't come in .

MRS. LILLEY .
Ask him if there is anything we can do for him, Anne .

ANNE approaches the garden entrance but ELLA is there before her and looks out .

ELLA .
It's Major Greig .

MRS. LILLEY .
Oh ! go and bring him in, Ella.

ELLA does not stir.

Then I will.

She goes out.

ANNE .
Oh! Is it him, Miss Ella?

ELLA .
Hush ! Anne .

ANNE .
Oh, Miss Ella, I wish I could be at hand to advise you .

ELLA .
Well, really ! Anne. (*She laughs*.) I'll call you if I'm in any difficulty .

ANNE .
Do, Miss .

ANNE goes out as MRS. LILLEY returns through the garden entrance with MAJOR GREIG .

GREIG .
It 's extremely good of you. I thought this must be the house, but the people I asked didn't know your name. Ah ! *(He sees ELLA and comes forward to her .They shake hands.)* You got my letter ? I hope Miss Christie has already made my apologies for such an unceremonious visit, Mrs. Leslie .

ELLA .
Your letter's there. It's just come .

GREIG .
I thought you'd get it this morning. It doesn't matter. It was only to say .

He looks at MRS. LILLEY with friendly, inquiring eyes. She smiles responsively and he laughs.

I had to come, you see .

MRS. LILLEY .
And we're delighted to see you, Major Greig. We have tea at half-past four, and till then where are you, by the by? The Dragon? Yes. Well, come here whenever you can. You've found the best way through the garden. You and Ella will want to talk and I must have my afternoon nap .

She nods and smiles and goes out .

GREIG .
That 's a very charming lady .

ELLA .
She 's a dear woman .

GREIG .
Well, I've found you out, you see .

ELLA .
Was I in hiding ?

GREIG .
You didn't tell me where you were going .

ELLA .
And why should I ?

GREIG .
Because you knew it interested me enormously .

ELLA .
It would have been foolish of me to tell you .

GREIG .
Why?

ELLA .
Because I came here to get away from you .

GREIG. *After a pause*
Why ?

ELLA .
I wanted to be alone to think. Or, rather, I wanted to see myself from outside with another's eyes .

GREIG .
Whose eyes? This old lady's?

ELLA .
Yes .

GREIG .
I don't quite understand, but whatever you do is right, I'm sure. She 's a charming, sad old creature .And, of course, you do well to think to pause. I agree with that. I want you to look at it every way and to look at me too. My dear, my dear girl, there are lots of things about me that ought to be better, but I'm pretty sound. If you like me enough you won't reject me on examination. It's the conventional thing to say that you're far too good for me, and I'll say it. You are and yet I don't know. A man is tossed about in the world ; he goes through black, grim things and he comes back to this to you .It's peaceful here and the sun shines on the pretty little garden, and you are dainty and beautiful, and have been all the time. Here I am and I'm all right, but it hasn't been all rosewater. I hardly know the woman's point of view. What should such fellows as I do crawling between heaven and earth? And yet it 's poor fun for you to go into a nunnery .

ELLA .
A nunnery ? Yes. If I had been a French girl I might have thought of a nunnery .

GREIG .
I believe we are a little bit at cross purposes yet .

ELLA .
I told you that I had been engaged and that he my lover died .

GREIG .
Yes .

ELLA .
He was the son of the lady you have just seen .

GREIG .
I might have guessed that .

ELLA .
She is good to me. She doesn't reproach me though she knows about you. I think, sometimes, that she likes to believe that she alone is worthy to cherish to remember him .

GREIG .
Why should she reproach you ?

ELLA .
He was her son .

GREIG .
Do you think so poorly of mothers?

ELLA .
I suppose you're right. Yet when I told her about you it seemed a humiliation. Can't you understand ? Oh! it 's unfair to you, I know. I want to make my confessions .

GREIG .
Your confessions?

ELLA .
No. They're not that, but I feel that there 's something to be said. I've not talked to you about it, but you know I belonged to him and not half-heartedly .And to come to you now! I resent that you should efface him like this and yet and yet Oh! I can't be right and happy anyhow. And it 's so unfair to you. It's all a jumble in my mind. I'm stupid and unintelligible. I want to be frank with you and I've nothing to say and there are infinite things to be said .

GREIG .
Don't say them if they hurt you. I think I can understand and imagine a good deal. And don't let us have too much of this looking backward. Confessions! I suppose that when people marry it's the time to make a clean breast of it. I might suspect you I don't, I don't I might suspect you of making a kind of sham confession to bring out my real one . No no. Don't think I suspect it. I knew this must come and I've dreaded it. Probably I'm quite wrong to tell you, but I can't help it. I'm afraid I alarm you. It 's nothing now, it 's all over. You're a generous woman and not a squeamish one. You won't judge too rapidly instinctively against me .It's an incident a strange incident. Oh! nothing to do with a woman .

ELLA .
I'm not unforgiving. I could forgive you a good deal .But tell me quickly .

GREIG .
I've not talked to you much about the war. Out there a man may see some queer things. He may do some queer things that never see the light. They're not part of the romantic convention .

ELLA .
I'm not afraid of anything you've done .

GREIG .
No. You're a priceless woman a woman apart. I think I'm not afraid to tell you. There 's dirty work to be done in the world. There 's blood to be shed ، poor hapless things to be struck down. [*Pause*.] Do you know, your hostess's face Mrs. Leslie gave me a little shock when I saw her. She reminded me of a boy

ELLA .
Oh! Tell me and be done. You stray from the point .

GREIG .
Not entirely. Mrs. Leslie

ELLA .
Mrs. Lilley .

GREIG .
What?

ELLA .
It 's Mrs. Lilley. You keep saying Mrs. Leslie .

GREIG .
Her name is Lilley?

ELLA .
Yes. You got it wrong .

GREIG .
She had a son of course. What am I thinking about? He died where?

ELLA .
Do you forget that I told you I was to marry him ؟

GREIG .
And he died ?

ELLA .
He was killed in South Africa .

GREIG. *Staring at her*
Yes, yes, of course, of course .

ELLA .

Go on. Go on .

GREIG .
Well, what was I saying? There's not much to be said. One feels it that way, you know. Here you are all spick and span, and there are we hacking and slashing. Of course there isn't much of that nowadays. The sword the sword, you know, is rather an antiquated instrument.

ELLA. *Goes to him and seizes his*
Will you tell me what you were going to say ?

GREIG .
I was saying that we have to do a bit of dirty work .You can't touch pitch without being a bit defiled , you know .

ELLA .
What are you keeping back? What is it? What do you mean? Why do you talk this rubbish? There's something about him. What is it?

GREIG .
About whom?

ELLA .
You know. Walter Lilley .

GREIG .
Not at all. I assure you you're quite mistaken .

ELLA .
Oh! It's useless useless. You are lying. I see it .I know it. What did you do? Don't think you can keep it from me. I must know ; can't you see that ? Go on .

GREIG .
I can't go on .

ELLA .
Is he alive?

GREIG .
No .

ELLA .
Tell me of him. Tell me of Walter Lilley. Walter Walter Lilley .

GREIG .
You think only of him .

ELLA .
Of him? Only of him? No oh! no of you too .This is horrible. You lost him? You deserted him? Oh! don't let me guess such things. Worse than that? You couldn't kill him? That's impossible; you were on the same side .

GREIG .
You confuse me. Give me a moment's peace .

ELLA. *She sinks into a chair watching him*.
The truth .

GREIG .
I've believed in the truth all my life: it's helped me out of some bad places. I only want to help you .

ELLA .
The truth .

GREIG .
I might concoct: some story even now, but I won't .The truth is very bitter and ugly. I tell you, and I'm a broken man but you well, you're a woman to do and bear great things .

ELLA .
I can wait no longer .

GREIG .
It was when I was with Riddick in the Transvaal .He gave me a ticklish job. We were at a place called Edderdorp. Perhaps you remember that there was an engagement there. I had to make a march with a kind of dummy convoy. It was meant to draw the Boers, and Riddick only gave me enough men to make a show. The wagons were empty. The main force went another way to catch them if they drew out to attack us. It was a good notion, but of course we stood the chance of being mauled before the real business began. Among others I had given me a dozen men of Bilton's horse. I wouldn't have taken them had I known that they had never been in action .Let me come to the point. We were attacked prematurely, I think as we rested for a meal, and I ordered an advance. It was awkward. It didn't look nice. These raw lads to go into action for the first time is uncomfortable work anyhow I couldn't steady them. There was one who wouldn't or couldn't mount. I think now that he was paralysed with fear that he was physically incapable. It 's pitiable: there are such cases. The thing was hurried, confused : you can hardly understand : everything hung in the balance. The fellows had their orders but it was a question which way they would ride. I had my revolver out. I shall never forget that boy's face: it was enough to unman a battalion. For God's sake let me make myself clear I can't go over it twice his name was Walter Lilley. I had no pity ‘I think, but I did right: I did what I must. I shot him in the head .

ELLA. *Rises*
You killed him? You killed him? Your

GREIG .
I killed him. Yes. Take care what you say. Wait, stop .

ELLA .
As if the words mattered .

GREIG .

Don't they? Don't the words matter? I think you might make me miserable for ever with a word .

ELLA .
Murderer. *A pause .*

GREIG .
No. You are right. It's only a word. What else could you say ? What else could I hope for now? You can't be infinitely wise and charitable in a moment. There seemed to be no other way. There are no reserves now : it 's only truth that can help us .

ELLA .
Go go .

GREIG .
Not now. Not yet. I must say something. How can I leave you to remember me so? You're not cruel, you'll pity me, and I only ask for justice. The thing 's bigger than ourselves : it wasn't for myself I struck. Do you know that many a time since I've said to myself that it was for England. Well, I say it to you now. Is this a false note? I'm confused and I want to put my case and I'm losing precious time: I might say something that you'd remember and think over. Does it all seem monstrous to you? It 's all over, of course, and I must go, but I can't bear that you should think of me like that .

ELLA .
And he served England too. Ah ! You don't understand how it is with me. We should fly apart like two guilty creatures two murderers .

GREIG .
Two?

ELLA. *After a short pause*
I made him go. I knew he was not not very courageous. He went to please me to propitiate me. I wanted him to conquer himself. Wasn't it brave, wasn't it noble of him? I sacrificed him .Hush! Hush! There's someone moving Mrs .Lilley. She mustn't know: she must never know .Will it come out? Can it be kept secret?

GREIG .
It won't come out. There was a kind of private enquiry and a swearing to secrecy. The truth is that not many of us were left but we did the work all right. If anyone blabbed I've men I could trust to contradict it. Of course I'm not thinking of myself .And I'm ready to swear on the Book that he died heroically .

ELLA .
And he did he did. It 's his agony that I can't bear that moment when he couldn't he couldn't were you in a passion ? I don't understand .

GREIG .
Would you dwell on it? Understand that we were in a desperate strait, and that a big disaster might have followed our failure: the whole thing depended on us. I don't want merely to make a case: I'm ready to confess to the uttermost. I believe I was conscious of doing a big, fine thing. No one has emotions afterwards and it's hard to distinguish . There are times when I'm haunted like a criminal .

ELLA .
Hush !

MRS. LILLEY enters with a photograph in her hand .

MRS. LILLEY .
Pardon me. I was afraid that Major Greig might go before I had the opportunity to speak to him again .But you did say you would stay to tea, I think .

GREIG. *Glancing at ELLA*
I'm afraid that I shall have to go directly, Mrs .Lilley .

MRS. LILLEY .
Well, then, come back and dine. The Dragon 's a dreary place in the evening, I should think. Ella (*She turns to ELLA pauses for a moment).*you may persuade Major Graig to come .

Ella .
If you can't, dear.

Mrs. LILLEY looks from one to the other silently and then at the photograph in her hands .

MRS. LILLEY .
You were in South Africa, Major Greig?

GREIG .
For nearly two years .

MRS. LILLEY .
Of course it 's a big place. You know I lost my son there. Ella has told you, perhaps .

GREIG .
have been grieved to hear it, Mrs. Lilley .

MRS. LILLEY. (*Anxiously*)
Did you meet him? Did you know him? He was in Bilton's Horse Walter Lilley .

GREIG .
No, I don't think I ever met him .

MRS. LILLEY .
I have a photograph here. It was taken just before he went out. Possibly you might

She hands it to him .

GREIG. (*Takes photograph. A pause*)
No. I think I should have remembered him .

MRS. LILLEY .

We never heard how it happened, Major. That 's hard, isn't it? They told us what they could, but it wasn't much. It was at Edderdorp he fell in the battle there. I should have liked to know. I know he died bravely. I don't complain of my sacrifice .Many mothers made it. Well, I thought you might have heard. I shall never know now .

GREIG. (*Slowly and stumblingly still holding the photograph in his hands*)
Mrs. Lilley, it's enough that he went out there on a generous impulse to serve his country and that he died. It can't help you to know the manner of his death ; that 's nothing nothing. He went out : he did what he could. Success and failure were inextricably mixed. There were deaths that seemed fine and picturesque they almost brought the illusion of happiness : and some that seemed common or terrible or ignoble. I don't want to distinguish: they were all my comrades. [He gives her the photograph .

MRS. LILLE Y .
I shall like to think of you as his comrade .

GREIG bows. MRS. LILLEY looks from one to the other , bows y and goes out .

GREIG .
I feel it 's impossible to go : I know it 's impossible to stay .

ELLA .
She must never know. It would be too terrible for her. (*Rises*)

GREIG .
And for you ?

ELLA .
I'm sorry for you now. No, it would be worse for her than for me. Now that you're going I want to unsay some things. I wouldn't do it but I shan't see you again. I don't want you to think of what I've said. Oh! He failed, then, he failed .And you were strong and terrible and angry. You towered above him. I resent that. I hate those strong and masterful men. But it's not dreadful enough to me. I don't feel it enough. No I don't rightly know what I'm saying. Why are you here? Why do you stay ?

GREIG .
Good-bye, then?

ELLA sits down, not looking at him. GREIG finds his hat and stick and walks towards the garden entrance. He pauses there. Then he comes forward and speaks emphatically.

No !

ELLA starts and looks round. GREIG puts down his hat and stick .

ELLA .
What is it? What's the matter?

GREIG .
I have decided that I won't go. It 's not all over .

ELLA .

I don't understand what you mean by that. Are you mad?

GREIG .
I am sane to the very heart of me, and you must be too .

ELLA .
Oh ! leave me in peace. I can bear no more .

GREIG .
It must be now. I should be a fool to leave you, and if I did I should come back. But it's to be now .What! Is this poor lad and his memory to be the end of you? I'll yield to another man never to a shadow. I've seen him and I know him : those were your salad days. A poor weak lad that you mothered and yet capable of effort, capable of agony. We must face that, if it has to be faced, together. I could go mad and melancholy myself about it. Don't let me do that. Don't leave me alone .

ELLA .
I can't listen to this .

GREIG .
But you must. You must listen. This is your chance our chance. I'm appealing to your reason .And it 's not only to your reason. I'm your lover I not another. Oh! my dear, be frank, be honest now. Don't think of people condemning you .Think of me: help me. I wouldn't ask it but it's life for you and not death. Don't choose a death by inches. Don't follow this dear old lady and live on photographs and bits of faded ribbon and locks of hair. I can offer you something better .

ELLA .
Oh! this is impossible .

GREIG .
No. It 's a sharp turn : it 's a sudden call on all your faculties on your character .

ELLA .
It 's intolerable. What woman ever submitted to such solicitations? What woman would marry the man who had killed her lover?

GREIG .
A thousand. The history of the world 's full of them .

ELLA .
What can you mean?

GREIG .
Did you never hear of the Sabine women? The Romans killed the men and the women made them good wives. A legend? But there's truth in it .And how many times in the primitive strife for a mate has the stronger struck the weaker down ? You think this an insult? It would be to any bread-and -butter miss: you're different. The world's a great place. My parallels aren't parallels, I daresay, but you'll understand. It 's true I killed the poor lad : it 's a pity, but great God ! what is he to us now? You have to think of me. I'm not the worse for it .You would have forgiven some lapse that showed I was crumbling away my brain, my heart .

ELLA. (*Slowly*)
You can't dispose of memories and affections like that .

GREIG .
That 's it. Begin to argue. That 's what I want .

ELLA .
This is no case for reason .

GREIG .
It is .

ELLA .
I want to treat you respectfully kindly but

GREIG .
But it 's a concession that you fear to make .

ELLA .
You've startled me. How can I reason or think?

GREIG .
Your deepest instinct will do .

ELLA .
I can't live as fast as this. I can't move at this rate .

GREIG .
You can live as fast as thought .

ELLA .
Why! You're like Richard the Third in the play and I'm the wretched Lady Anne, I suppose. Are you preparing to crow over me?

GREIG .
I'm past timidities and squeamishness. Let us believe in ourselves .

ELLA .
The all-conquering male !

GREIG .
You're fencing. You don't think so of me .

ELLA. (*After a pause*)
I think I understand. I see your point of view. Nay, I could almost see it as possible

GREIG. (*Interrupting*)
Why! then

ELLA .

Stop! I can almost see myself in a mood to consent .Yes. I can see it as you see it a great chance. It'll be misery for me either way. If it were a matter of a moment you might overcome me. But it 's not .We should have to get through the years and we couldn't be excited all the time. Oh! yes. You can be eloquent and rouse me, but there are the long, quiet days, there would be time to think. You couldn't always be with me .

GREIG .
We must risk something, of course .

ELLA .
For every little thing in which you displeased me a great resentment would come rushing up it would always be just out of sight .

GREIG .
We'll chance that .

ELLA .
It 's not possible .

GREIG .
All these are vapourish things and we'll forget them together. We'll go where you please do what you please. And it 's happiness that I offer you a home children .

ELLA .
I will not. I will not .

GREIG .
Come .

He takes her hands and draws her towards him. She yields for a moment and then breaks away towards the door .

ELLA. (*Cries out*)
Mother! Oh! Mother !

GREIG .
Whom are you calling? What do you want?

ELLA .
I must tell her. I must tell her everything .

GREIG .
Who?

ELLA .
I call her mother .

GREIG .
What ! What can you mean ?

ELLA .
I'm yielding to you. I will not yield. I will not .

GREIG .
But Mrs. Lilley! You forget

ELLA .
If I tell her I'm safe from you : I could never do it then .

GREIG .
But think of her !

ELLA .
Myself! I'll think of myself. I want to possess myself. I want to be alone .

GREIG .
I'll leave you then .

ELLA .
You promise not to return .

GREIG .
No .

ELLA .
I tell her then .

GREIG .
It 's monstrous. It 's unthinkable. You can't do it .

ELLA .
You promise?

GREIG .
No .

ELLA. (*Again making for the door*)
Come! oh! come, mother !

GREIG. (*Dragging her back*)
You must not. You shall not do this .

ELLA. (*Cries out*)
He killed him! He killed Walter. He killed Walter.

GREIG .
Stop stop. I beg you I entreat you I couldn't bear that. I'll go. I'll leave you. I promise. Anything but this. But it 's not fair it 's not fair. She 's coming be silent she 's coming .

MRS. LILLEY enters hurriedly. ELLA sinks down sobbing .

MRS. LILLEY .
What is it, Ella? What is it? You cried out. I heard Walter's name. What is it?

ELLA .
Oh help me! Help me.

GREIG.(*Standing beside ELLA*)
Mrs. Lilley, I am an unfortunate man. I have distressed her with my appeals. It's a shame that you should be called in: it's my fault. She cannot make this sacrifice this sacrifice of an ideal. I have been importunate and she resents it. I'm punished. I must go and I shall not return .

MRS. LILLEY .
But I had hoped Ella, dear

ELLA .
It can't be .

GREIG .
Good-bye, Mrs. Lilley. I can never forget your kindness. (*He walks to where ELLA is sitting and stands beside her*) It 's good-bye, then ?

MRS. LILLEY watching them goes quickly out of the room .

ELLA .
Good-bye .

GREIG .
I'll only say this. If you see, if you feel that I'm right, you'll not hold off in pride and resentment .I leave you now and I shan't molest you. I shall be waiting, always, for a word .

ELLA. (*Stands*)
Anything but that. Everything but that .

GREIG .
What is everything?

ELLA .
Oh ! I admire you. You're a great, strong man .My weakness won't let me come up to your ideal .I'm the wrong woman, and I see that so clearly now that I don't fear you any more. Poor Mrs. Lilley is safe from me. I was madly wicked to think of telling her .

GREIG .
You don't fear me now?

ELLA .
I don't think I do .

GREIG .
Then you don't forbid me to see you?

ELLA .
Oh! I can't bear to have it all over again .

GREIG .
Good-bye .

He gathers hat and stick and goes out slowly the garden way, turning to look at her but not stopping.

MRS. LILLEY. (*Entering*)
He has gone?

ELLA .
Yes .

MRS. LILLEY .
My poor Ella. You've sent him away?

ELLA .
Yes .

MRS. LILLEY .
But, Ella, our dear Walter would have rejoiced in it .I can believe that this is a disappointment to him as it is to me. Ella, think that he, too, desires your happiness .

ELLA .
Oh! my dear, you don't know what you're saying .

MRS. LILLEY .
Well, well perhaps he will come back .

ELLA walks slowly to the window entrance and stands looking out .

Petronius (1st Century A.D.)
The Widow of Ephesus
Translated By William Arrowsmith

Once upon a time there was a certain married woman in the city of Ephesus whose fidelity to her husband was so famous that the women from all the neighboring towns and villages used to troop into Ephesus merely to stare at this prodigy. It happened, however, that her husband one day died. Finding the normal custom of following the cortege with hair unbound and beating her breast in public quite inadequate to express her grief, the lady insisted on following the corpse right into the tomb, an underground vault of the Greek type, and there set herself to guard the body, weeping and wailing night and day. Although in her extremes of grief she was Cleary courting death from starvation, her parents were utterly unable to persuade her to leave, and even the magistrates, after one last supreme attempt, were rebuffed and driven a way. In short, all Ephesus had gone into mourning for this extraordinary woman, all the more since the lady was now passing her fifth consecutive day without once tasting food. Beside the failing woman sat her devoted maid, sharing her mistress's grief and relighting the lamp whenever it flickered out. The whole city could speak, in fact, of nothing

else: here at last, all classes alike agreed, was the one true example of conjugal fidelity and love.

In the meantime, however, the governor of the province gave orders that several thieves should be crucified in a spot close by the vault where the lady was mourning her dead husband's corpse. So on the following night, the soldier who had been assigned to keep watch on the crosses so that nobody could remove the thieves' bodies for burial suddenly noticed a light blazing among the natural human curiosity to know who or was making those sounds, he descended into the vault.

But at the sight of a strikingly beautiful woman, he stopped short in terror, thinking he must be seeing some ghostly apparition out of hell. Then, observing the corpse and seeing the tears on the lady's face and the scratches her fingernails had gashed in her cheeks, he realized what it was: a widow, in inconsolable grief. Promptly fetching his little supper back down to the tomb, he implored the lady not to persist in her sorrow or break her heart with useless mourning. All men alike, he reminded her, have the same end; the same resting place a waits us all. He used, in short, all those platitudes we use to comfort the suffering and bring them back to life. His consolations, being unwelcome, only exasperated the widow more; more violently than ever she beat her breast, and tearing out her hair by the roots, scattered it over the dead man's body. Undismayed, the soldier repeated his arguments and pressed her to take some food, until maid, quite overcome by the smell of the wine, succumbed and stretched out her hand to her tempter. Then, restored by the food and wine, she began herself to assail her mistress's obstinate refusal.

"How will it help you," she asked the lady, "if you faint from hunger? Why should you bury yourself alive and go down to death before the Fates have called you? What dose Vergil say?

Do you suppose the shades and ashes of the dead are by such sorrow touched?

No, begin your life afresh. Shake off these woman's scruples; enjoy the light while you can. Look at that corpse of your poor husband: doesn't it tell you more eloquently than any words that you should live?"

None of us, of course, really dislikes being told that we must eat, that life is to be lived. And the lady was no exception. Weakened by her long days of fasting, her resistance crumbled at last, and she ate the food the soldier offered her as hungrily as the little amid had eaten earlier.

Well you know what temptations are normally aroused in a man on a full stomach. So the soldier, mustering all those blandishments by means of which he had persuaded the lady to live, now laid determined siege to her virtue. And chaste though she was, the lady found him singularly attractive and his arguments persuasive. As for the maid, she did all she could to help the soldier's cause, repeating like a refrain the appropriate line of Vergil:

If love is pleasing, lady, yield yourself to love.

To make the matter short, the lady's body soon gave up the struggle; she yielded and our happy warrior enjoyed a total triumph on both counts. That very night their marriage was consummated, and they slept together the second and the third night too, carefully shouting the door of the tomb so that any passing friends or strangers would have thought the lady of famous chastity had at last expired over her dead husband's body.

As you can perhaps imagine, our soldier was a very happy man, utterly delighted with his lady's ample beauty and that special charm that a secret love confers. Every night, as soon as the sun had set, he bought what few provisions his slender pay permitted and smuggled them down to the tomb. One night, however, the parents of one of the crucified thieves, noticing that the watch was being badly kept, took advantage of our hero's absence to remove their son's body and bury it. The next morning, of course, the soldier was horror-struck to discover one of the bodies missing from its cross, and ran to tell his mistress of the horrible punishment which awaited him for neglecting his duty. In the sentenced, but would punish himself then

and there with his own sword. All he asked of her was that she make room for another corpse and allow the same gloomy tomb to enclose husband and lover together.

our lady's hear, however, was no less tender than pure. "God forbid," she cried, "that I should have to see at one and the same time the dead bodies of the only two men I have ever loved. No better far, I say, to hang the dead than kill the living." With these words, she gave order that her husband's body should be taken from its bier and strung up on the empty cross. The soldier followed this good advice, and the next mooring the wall city wondered by what miracle the dead man had climbed up on the cross.

ANGELA
By William Schwenk Gilbert
(_The Century Magazine_, September 1890)

I am a poor paralysed fellow who, for many years past, has been confined to a bed or a sofa. For the last six years I have occupied a small room, giving on to one of the side canals of Venice, and having no one about me but a deaf old woman, who makes my bed and attends to my food; and there I eke out a poor income of about thirty pounds a year by making water-colour drawings of flowers and fruit (they are the cheapest models in Venice), and these I send to a friend in London, who sells them to a dealer for small sums. But, on the whole, I am happy and content.

It is necessary that I should describe the position of my room rather minutely. Its only window is about five feet above the water of the canal, and above it the house projects some six feet, and overhangs the water, the projecting portion being supported by stout piles driven into the bed of the canal. This arrangement has the disadvantage (among others) of so limiting my upward view that I am unable to see more than about ten feet of the height of the house immediately opposite to me, although, by reaching as far out of the window as my infirmity will permit, I can see for a considerable distance up and down the canal, which does not exceed fifteen feet in width. But, although I can see but little of the material house opposite, I can see its reflection upside down in the canal, and I take a good deal of inverted interest in such of its inhabitants as show themselves from time to time (always upside down) on its balconies and at its windows.

When I first occupied my room, about six years ago, my attention was directed to the reflection of a little girl of thirteen or so (as nearly as I could judge), who passed every day on a balcony just above the upward range of my limited field of view. She had a glass of flowers and a crucifix on a little table by her side; and as she sat there, in fine weather, from early morning until dark, working assiduously all the time, I concluded that she earned her living by needle-work. She was certainly an industrious little girl, and, as far as I could judge by her upside-down reflection, neat in her dress and pretty. She had an old mother, an invalid, who, on warm days, would sit on the balcony with her, and it interested me to see the little maid wrap the old lady in shawls, and bring pillows for her chair, and a stool for her feet, and every now and again lay down her work and kiss and fondle the old lady for half a minute, and then take up her work again.

Time went by, and as the little maid grew up, her reflection grew down, and at last she was quite a little woman of, I suppose, sixteen or seventeen. I can only work for a couple of hours or so in the brightest part of the day, so I had plenty of time on my hands in which to watch her movements, and sufficient imagination to weave a little romance about her, and to endow her with a beauty which, to a great extent, I had to take for granted. I saw--or fancied that I

could see--that she began to take an interest in *my* reflection (which, of course, she could see as I could see hers); and one day, when it appeared to me that she was looking right at it--that is to say when her reflection appeared to be looking right at me--I tried the desperate experiment of nodding to her, and to my intense delight her reflection nodded in reply. And so our two reflections became known to one another.

It did not take me very long to fall in love with her, but a long time passed before I could make up my mind to do more than nod to her every morning, when the old woman moved me from my bed to the sofa at the window, and again in the evening, when the little maid left the balcony for that day. One day, however, when I saw her reflection looking at mine, I nodded to her, and threw a flower into the canal. She nodded several times in return, and I saw her direct her mother's attention to the incident. Then every morning I threw a flower into the water for 'good morning', and another in the evening for 'goodnight', and I soon discovered that I had not altogether thrown them in vain, for one day she threw a flower to join mine, and she laughed and clapped her hands when she saw the two flowers join forces and float away together. And then every morning and every evening she threw her flower when I threw mine, and when the two flowers met she clapped her hands, and so did I; but when they were separated, as they sometimes were, owing to one of them having met an obstruction which did not catch the other, she threw up her hands in a pretty affectation of despair, which I tried to imitate but in an English and unsuccessful fashion. And when they were rudely run down by a passing gondola (which happened not infrequently) she pretended to cry, and I did the same. Then, in pretty pantomime, she would point downwards to the sky to tell me that it was Destiny that had caused the shipwreck of our flowers, and I, in pantomime, not nearly so pretty, would try to convey to her that Destiny would be kinder next time, and that perhaps tomorrow our flowers would be more fortunate--and so the innocent courtship went on. One day she showed me her crucifix and kissed it, and thereupon I took a little silver crucifix that always stood by me, and kissed that, and so she knew that we were one in religion.

One day the little maid did not appear on her balcony, and for several days I saw nothing of her; and although I threw my flowers as usual, no flower came to keep it company. However, after a time, she reappeared, dressed in black, and crying often, and then I knew that the poor child's mother was dead, and, as far as I knew, she was alone in the world. The flowers came no more for many days, nor did she show any sign of recognition, but kept her eyes on her work, except when she placed her handkerchief to them. And opposite to her was the old lady's chair, and I could see that, from time to time, she would lay down her work and gaze at it, and then a flood of tears would come to her relief. But at last one day she roused herself to nod to me, and then her flower came, day by day, and my flower went forth to join it, and with varying fortunes the two flowers sailed away as of yore.

But the darkest day of all to me was when a good-looking young gondolier, standing right end uppermost in his gondola (for I could see *him* in the flesh), worked his craft alongside the house, and stood talking to her as she sat on the balcony. They seemed to speak as old friends--indeed, as well as I could make out, he held her by the hand during the whole of their interview which lasted quite half an hour. Eventually he pushed off, and left my heart heavy within me. But I soon took heart of grace, for as soon as he was out of sight, the little maid threw two flowers growing on the same stem--an allegory of which I could make nothing, until it broke upon me that she meant to convey to me that he and she were brother and sister, and that I had no cause to be sad. And thereupon I nodded to her cheerily, and she nodded to me, and laughed aloud, and I laughed in return, and all went on again as before.

Then came a dark and dreary time, for it became necessary that I should undergo treatment that confined me absolutely to my bed for many days, and I worried and fretted to think that the little maid and I should see each other no longer, and worse still, that she would think that I had gone away without even hinting to her that I was going. And I lay awake at night wondering how I could let her know the truth, and fifty plans flitted through my brain, all appearing to be feasible enough at night, but absolutely wild and impracticable in the morning. One day--and it was a bright day indeed for me--the old woman who tended me told me that a gondolier had inquired whether the English signor had gone away or had died; and so I learnt that the little maid had been anxious about me, and that she had sent her brother to inquire, and the brother had no doubt taken to her the reason of my protracted absence from the window.

From that day, and ever after during my three weeks of bed-keeping, a flower was found every morning on the ledge of my window, which was within easy reach of anyone in a boat; and when at last a day came when I could be moved, I took my accustomed place on my sofa at the window, and the little maid saw me, and stood on her head (so to speak) and clapped her hands upside down with a delight that was as eloquent as my right-end-up delight could be. And so the first time the gondolier passed my window I beckoned to him, and he pushed alongside, and told me, with many bright smiles, that he was glad indeed to see me well again. Then I thanked him and his sister for their many kind thoughts about me during my retreat, and I then learnt from him that her name was Angela, and that she was the best and purest maiden in all Venice, and that anyone might think himself happy indeed who could call her sister, but that he was happier even than her brother, for he was to be married to her, and indeed they were to be married the next day.

Thereupon my heart seemed to swell to bursting, and the blood rushed through my veins so that I could hear it and nothing else for a while. I managed at last to stammer forth some words of awkward congratulation, and he left me, singing merrily, after asking permission to bring his bride to see me on the morrow as they returned from church.

'For', said he, 'my Angela has known you very long--ever since she was a child, and she has often spoken to me of the poor Englishman who was a good Catholic, and who lay all day long for years and years on a sofa at a window, and she had said over and over again how dearly she wished she could speak to him and comfort him; and one day, when you threw a flower into the canal, she asked me whether she might throw another, and I told her yes, for he would understand that it meant sympathy for one sorely afflicted.'

And so I learned that it was pity, and not love, except indeed such love as is akin to pity, that prompted her to interest herself in my welfare, and there was an end of it all.

For the two flowers that I thought were on one stem were two flowers tied together (but I could not tell that), and they were meant to indicate that she and the gondolier were affianced lovers, and my expressed pleasure at this symbol delighted her, for she took it to mean that I rejoiced in her happiness.

And the next day the gondolier came with a train of other gondoliers, all decked in their holiday garb, and on his gondola sat Angela, happy, and blushing at her happiness. Then he and she entered the house in which I dwelt, and came into my room (and it was strange indeed, after so many years of inversion, to see her with her head above her feet!), and then

she wished me happiness and a speedy restoration to good health (which could never be); and I in broken words and with tears in my eyes, gave her the little silver crucifix that had stood by my bed or my table for so many years. And Angela took it reverently, and crossed herself, and kissed it, and so departed with her delighted husband.

And as I heard the song of the gondoliers as they went their way--the song dying away in the distance as the shadows of the sundown closed around me--I felt that they were singing the requiem of the only love that had ever entered my heart.

THE CHRISTMAS PRESENT, by Richmal Crompton

Mary Clay looked out of the window of the old farmhouse. The view was dreary enough--hill and field and woodland, bare, colourless, mist-covered--with no other house in sight. She had never been a woman to crave for company. She liked sewing. She was passionately fond of reading. She was not fond of talking. Probably she could have been very happy at Cromb Farm--alone. Before her marriage she had looked forward to the long evenings with her sewing and reading. She knew that she would be busy enough in the day, for the farmhouse was old and rambling, and she was to have no help in the housework. But she looked forward to quiet, peaceful, lamplit evenings; and only lately, after ten years of married life, had she reluctantly given up the hope of them. For peace was far enough from the old farm kitchen in the evening. It was driven away by John Clay's loud voice, raised always in orders or complaints, or in the stumbling, incoherent reading aloud of his newspaper. Mary was a silent woman herself and a lover of silence. But John liked to hear the sound of his voice; he liked to shout at her; to call for her from one room to another; above all, he liked to hear his voice reading the paper out loud to her in the evening. She dreaded that most of all. It had lately seemed to jar on her nerves till she felt she must scream aloud. His voice going on and on, raucous and sing-song, became unspeakably irritating. His "Mary!" summoning her from her household work to where-ever he happened to be, his "Get my slippers," or "Bring me my pipe," exasperated her almost to the point of rebellion. "Get your
own slippers" had trembled on her lips, but had never passed them, for she was a woman who could not bear anger. Noise of any kind appalled her.

She had borne it for ten years, so surely she could go on with it. Yet today, as she gazed hopelessly at the wintry country side, she became acutely conscious that she could not go on with it. Something must happen. Yet what was there that could happen?

It was Christmas next week. She smiled ironically at the thought. Then she noticed the figure of her husband coming up the road. He came in at the gate and round to the side-door.

"Mary!"

She went slowly in answer to the summons. He held a letter in his hand.

"Met the postman," he said. "From your aunt."

She opened the letter and read it in silence. Both of them knew quite well what it contained.

"She wants us to go over for Christmas again," said Mary.

He began to grumble.

"She's as deaf as a post. She's 'most as deaf as her mother was. She ought to know better than to ask folks over when she can't hear a word any one says."

Mary said nothing. He always grumbled about the invitation at first, but really he wanted to go. He liked to talk with her uncle. He liked the change of going down to the village for a few days and hearing all its gossip. He could quite well leave the farm to the "hands" for that time.

The Crewe deafness was proverbial. Mary's great-grandmother had gone stone deaf at the age of thirty-five; her daughter had inherited the affliction and her granddaughter, the aunt with whom Mary had spent her childhood, had inherited it also at exactly the same age.

"All right," he said at last, grudgingly, as though in answer to her silence, "we'd better go. Write and say we'll go."

* * * * *

It was Christmas Eve. They were in the kitchen of her uncle's farmhouse. The deaf old woman sat in her chair by the fire knitting. Upon her sunken face there was a curious sardonic smile that was her habitual expression. The two men stood in the doorway. Mary sat at the table looking aimlessly out of the window. Outside, the snow fell in blinding showers. Inside, the fire gleamed on to the copper pots and pans, the crockery on the old oak dresser, the hams hanging from the ceiling.

Suddenly James turned.

"Jane!" he said.

The deaf woman never stirred.

"Jane!"

Still there was no response upon the enigmatic old face by the fireside.

"_Jane!_"

She turned slightly towards the voice.

"Get them photos from upstairs to show John," he bawled.

"What about boats?" she said.

"_Photos!_" roared her husband.

"Coats?" she quavered.

Mary looked from one to the other. The man made a gesture of irritation and went from the room.

He came back with a pile of picture postcards in his hand.

"It's quicker to do a thing oneself," he grumbled. "They're what my brother sent from Switzerland, where he's working now. It's a fine land, to judge from the views of it."

John took them from his hand. "She gets worse?" he said nodding towards the old woman.

She was sitting gazing at the fire, her lips curved into the curious smile.

Her husband shrugged his shoulders. "Aye. She's nigh as bad as her mother was."

"And her grandmother."

"Aye. It takes longer to tell her to do something than to do it myself. And deaf folks get a bit stupid, too. Can't see what you mean. They're best let alone."

The other man nodded and lit his pipe. Then James opened the door.

"The snow's stopped," he said. "Shall we go to the end of the village and back?"

The other nodded, and took his cap from behind the door. A gust of cold air filled the room as they went out.

Mary took a paper-backed book from the table and came over to the fireplace.

"Mary!"

She started. It was not the sharp, querulous voice of the deaf old woman, it was more like the voice of the young aunt whom Mary remembered in childhood. The old woman was leaning forward, looking at her intently.

"Mary! A happy Christmas to 'ee."

And, as if in spite of herself, Mary answered in her ordinary low tones.

"The same to you, auntie."

"Thank 'ee. Thank 'ee."

Mary gasped.

"Aunt! Can you hear me speaking like this?"

The old woman laughed, silently, rocking to and fro in her chair as if with pent-up merriment of years.

"Yes, I can hear 'ee, child. I've all us heard 'ee."

Mary clasped her hand eagerly.

"Then--you're cured, Aunt----"

"Ay. I'm cured as far as there was ever anything to be cured."

"You----?"

"I was never deaf, child, nor never will be, please God. I've took you all in fine."

Mary stood up in bewilderment.

"You? Never deaf?"

The old woman chuckled again.

"No, nor my mother--nor her mother neither."

Mary shrank back from her.

"I--I don't know what you mean," she said, unsteadily. "Have you been--pretending?"

"I'll make you a Christmas present of it, dearie," said the old woman.
"My mother made me a Christmas present of it when I was your age, and her mother made her one. I haven't a lass of my own to give it to, so I give it to you. It can come on quite sudden like, if you want it, and then you can hear what you choose and not hear what you choose. Do you see?" She leant nearer and whispered, "You're shut out of it all—of having to fetch and carry for 'em, answer their daft questions and run their errands like a dog. I've watched you, my lass. You don't get much peace, do you?"

Mary was trembling.

"Oh, I don't know what to think," she said. "I--I couldn't do it."

"Do what you like," said the old woman. "Take it as a present, anyways--the Crewe deafness for a Christmas present," she chuckled. "Use it or not as you like. You'll find it main amusin', anyways."

And into the old face there came again that curious smile as if she carried in her heart some jest fit for the gods on Olympus.

The door opened suddenly with another gust of cold air, and the two men came in again, covered with fine snow.

"I--I'll not do it," whispered Mary, trembling.

"We didn't get far. It's coming on again," remarked John, hanging up his cap.

The old woman rose and began to lay the supper, silently and deftly, moving from cupboard to table without looking up. Mary sat by the fire, motionless and speechless, her eyes fixed on the glowing coals.

"Any signs o' the deafness in her?" whispered James, looking towards Mary. "It come on my wife jus' when she was that age."

"Aye. So I've heard."

Then he said loudly, "Mary!"

A faint pink colour came into her cheeks, but she did not show by look or movement that she had heard. James looked significantly at her husband.

The old woman stood still for a minute with a cup in each hand and smiled her slow, subtle smile.

THE STRANGE-LOOKING MAN
BY FANNY KEMBLE JOHNSON

A TINY village lay among the mountains of a country from which for four years the men had gone forth to fight. First the best men had gone, then the older men, then the youths, and lastly the school boys. It will be seen that no men could have been left in the village except the very aged, and the bodily incapacitated, who soon died, owing to the war policy of the Government which was to let the useless perish that there might be more food for the useful.

Now it chanced that while all the men went away, save those left to die of slow starvation, only a few returned, and these few were crippled and disfigured in various ways. One young man had only part of a face, and had to wear a painted tin mask, like a holiday-maker. Another had two legs but no arms, and another two arms but no legs. One man could scarcely be looked at by his own mother, having had his eyes burned out of his head until he stared like Death. One had neither arms nor legs, and was mad of his misery besides, and lay all day in a cradle like a baby. And there was a quite old man who strangled night and day from having sucked in poison-gas; and another, a mere boy, who shook, like a leaf in a high wind, from shell-shock, and screamed at a sound. And he too had lost a hand, and part of his face, though not enough to warrant the expense of a mask for him.

All these men, except he who had been crazed by horror of himself, had been furnished with ingenious appliances to enable them to be partly self-supporting, and to earn enough to pay their share of the taxes which burdened their defeated nation. To go through that village after the war was something like going through a life-sized toy-village with all the mechanical figures wound up and clicking. Only instead of the figures being new, and gay, and pretty, they were battered and grotesque and inhuman.

There would be the windmill, and the smithy, and the public house. There would be the row of cottages, the village church, the sparkling waterfall, the parti-colored fields spread out like bright kerchiefs on the hillsides, the parading fowl, the goats and cows,--though not many of these last. There would be the women, and with them some children; very few, however, for the women had been getting reasonable, and were now refusing to have sons who might one day be sent back to them limbless and mad, to be rocked in cradles--for many years, perhaps.

Still the younger women, softer creatures of impulse, had borne a child or two. One of these, born the second year of the war, was a very blonde and bullet-headed rascal of three, with a bullying air, and of a roving disposition. But such traits appear engaging in children of sufficiently tender years, and he was a sort of village plaything, here, there, and everywhere, on the most familiar terms with the wrecks of the war which the Government of that country had made.

He tried on the tin mask and played with the baker's mechanical leg, so indulgent were they of his caprices; and it amused him excessively to rock the cradle of the man who had no limbs, and who was his father.

In and out he ran, and was humored to his bent. To one he seemed the son he had lost, to another the son he might have had, had the world gone differently. To others he served as a brief escape from the shadow of a future without hope; to others yet, the diversion of an hour. This last was especially true of the blind man who sat at the door of his old mother's cottage binding brooms. The presence of the child seemed to him like a warm ray of sunshine falling across his hand, and he would lure him to linger by letting him try on the great blue goggles which he found it best to wear in public. But no disfigurement or deformity appeared to frighten the little fellow. These had been his playthings from earliest infancy.

One morning, his mother, being busy washing clothes, had left him alone, confident that he would soon seek out some friendly fragment of soldier, and entertain himself till noon and hunger-time. But occasionally children have odd notions, and do the exact opposite of what one supposes.

On this brilliant summer morning the child fancied a solitary ramble along the bank of the mountain-stream. Vaguely he meant to seek a pool higher up, and to cast stones in it. He wandered slowly straying now and then into small valleys, or chasing wayside ducks. It was past ten before he gained the green-gleaming and foam-whitened pool, sunk in the shadow of a tall gray rock over whose flat top three pine-trees swayed in the fresh breeze. Under them, looking to the child like a white cloud in a green sky, stood a beautiful young man, poised on the sheer brink for a dive. A single instant he stood there, clad only in shadow and sunshine, the next he had dived so expertly that he scarcely splashed up the water around him. Then his dark, dripping head rose in sight, his glittering arm thrust up, and he swam vigorously to shore. He climbed the rock for another dive. These actions he repeated in pure sport and joy in life so often that his little spectator became dizzy with watching.

At length he had enough of it and stooped for his discarded garments. These he carried to a more sheltered spot and rapidly put on, the child still wide-eyed and wondering, for indeed he had much to occupy his attention.

He had two arms, two legs, a whole face with eyes, nose, mouth, chin, and ears, complete. He could see, for he had glanced about him as he dressed. He could speak, for he sang loudly. He could hear, for he had turned quickly at the whir of pigeon-wings behind him. His skin was smooth all over, and nowhere on it were the dark scarlet maps which the child found so interesting on the arms, face, and breast of the burned man. He did not strangle every little while, or shiver madly, and scream at a sound. It was truly inexplicable, and therefore terrifying.

The child was beginning to whimper, to tremble, to look wildly about for his mother, when the young man observed him.

"_Hullo!_" he cried eagerly, "if it isn't a child!"

He came forward across the foot-bridge with a most ingratiating smile, for this was the first time that day he had seen a child and he had been thinking it remarkable that there

should be so few children in a valley, where, when he had travelled that way five years before, there had been so many he had scarcely been able to find pennies for them. So he cried "Hullo," quite joyously, and searched in his pockets.

But, to his amazement, the bullet-headed little blond boy screamed out in terror, and fled for protection into the arms of a hurriedly approaching young woman. She embraced him with evident relief, and was lavishing on him terms of scolding and endearment in the same breath, when the traveler came up, looking as if his feelings were hurt.

"I assure you, Madam," said he, "that I only meant to give your little boy these pennies." He examined himself with an air of wonder. "What on earth is there about me to frighten a child?" he queried plaintively.

The young peasant-woman smiled indulgently on them both, on the child now sobbing, his face buried in her skirt, and on the boyish, perplexed, and beautiful young man.

"It is because he finds the Herr Traveler so strange-looking," she said, curtsying. "He is quite small," she showed his smallness with a gesture, "and it is the first time he has even seen a whole man."

Lucy Maud Montgomery , 1896 to 1901
Lilian's Business Venture

Lilian Mitchell turned into the dry-goods store on Randall Street, just as Esther Miller and Ella Taylor came out. They responded coldly to her greeting and exchanged significant glances as they walked away.

Lilian's pale face crimsoned. She was a tall, slender girl of about seventeen, and dressed in mourning. These girls had been her close friends once. But that was before the Mitchells had lost their money. Since then Lilian had been cut by many of her old chums and she felt it keenly.

The clerks in the store were busy and Lilian sat down to wait her turn. Near to her two ladies were also waiting and chatting.

"Helen wants me to let her have a birthday party," Mrs. Saunders was saying wearily. "She has been promised it so long and I hate to disappoint the child, but our girl left last week, and I cannot possibly make all the cakes and things myself. I haven't the time or strength, so Helen must do without her party."

"Talking of girls," said Mrs. Reeves impatiently, "I am almost discouraged. It is so hard to get a good all-round one. The last one I had was so saucy I had to discharge her, and the one I have now cannot make decent bread. I never had good luck with bread myself either."

"That is Mrs. Porter's great grievance too. It is no light task to bake bread for all those boarders. Have you made your jelly yet?"

"No. Maria cannot make it, she says, and I detest messing with jelly. But I really must see to it soon."

At this point a saleswoman came up to Lilian, who made her small purchases and went out.
"There goes Lilian Mitchell," said Mrs. Reeves in an undertone. "She looks very pale. They say they are dreadfully poor since Henry Mitchell died. His affairs were in a bad condition, I am told."

"I am sorry for Mrs. Mitchell," responded Mrs. Saunders. "She is such
a sweet woman. Lilian will have to do something, I suppose, and there is so little chance for a girl here."

Lilian, walking down the street, was wearily turning over in her mind the problems of her young existence. Her father had died the preceding spring. He had been a supposedly prosperous merchant; the Mitchells had always lived well, and Lilian was a petted and only child. Then came the shock of Henry Mitchell's sudden death and of financial ruin. His affairs were found to be hopelessly involved; when all the debts were paid there was left only the merest pittance--barely enough for house-rent--for Lilian and her mother to live upon. They had moved into a tiny cottage in an unfashionable locality, and during the summer Lilian had tried hard to think of something to do. Mrs.Mitchell was a delicate woman, and the burden of their situation fell on Lilian's young shoulders.

There seemed to be no place for her. She could not teach and had no particular talent in any line. There was no opening for her in Willington, which was a rather sleepy little place, and Lilian was almost in despair.

"There really doesn't seem to be any real place in the world for me, Mother," she said rather dolefully at the supper table. "I've no talent at all; it is dreadful to have been born without one. And yet I _must_ do something, and do it soon."

And Lilian, after she had washed up the tea dishes, went upstairs and had a good cry.

But the darkest hour, so the proverb goes, is just before the dawn, and after Lilian had had her cry out and was sitting at her window in the dusk, watching a thin new moon shining over the trees down the street, her inspiration came to her. A minute later she whirled into the tiny sitting-room where her mother was sewing.

"Mother, our fortune is made! I have an idea!"

"Don't lose it, then," said Mrs. Mitchell with a smile. "What is it, my dear?"

Lilian sobered herself, sat down by her mother's side, and proceeded to recount the conversation she had heard in the store that afternoon.

"Now, Mother, this is where my brilliant idea comes in. You have often told me I am a born cook and I always have good luck. Now, tomorrow morning I shall go to Mrs. Saunders and offer to furnish all the good things for Helen's birthday party, and then I'll ask Mrs. Reeves and Mrs. Porter if I may make their bread for them. That will do for a beginning, I like cooking, you know, and I believe that in time I can work up a good business."

"It seems to be a good idea," said Mrs. Mitchell thoughtfully, "and I am willing that you should try. But have you thought it all out carefully? There will be many difficulties."

"I know. I don't expect smooth sailing right along, and perhaps I'll fail altogether; but somehow I don't believe I will."

"A great many of your old friends will think--"

"Oh, yes; I know _that_ too, but I am not going to mind it, Mother. I don't think there is any disgrace in working for my living. I'm going to do my best and not care what people say."

Early next morning Lilian started out. She had carefully thought over the details of her small venture, considered ways and means, and decided on the most advisable course. She would not attempt too much, and she felt sure of success.

To secure competent servants was one of the problems of Willington people. At Drayton, a large neighbouring town, were several factories, and into these all the working girls from Willington had crowded, leaving very few who were willing to go out to service. Many of those who did were poor cooks, and Lilian shrewdly suspected that many a harassed housekeeper in the village would be glad to avail herself of the new enterprise.

Lilian was, as she had said of herself, "a born cook." This was her capital, and she meant to make the most of it. Mrs. Saunders listened to her businesslike details with surprise and delight.

"It is the very thing," she said. "Helen is so eager for that party, but I could not undertake it myself. Her birthday is Friday. Can you have everything ready by then?"

"Yes, I think so," said Lilian briskly, producing her notebook. "Please give me the list of what you want and I will do my best."

From Mrs. Saunders she went to Mrs. Reeves and found a customer as soon as she had told the reason of her call. "I'll furnish all the bread and rolls you need," she said, "and they will be good, too. Now, about your jelly. I can make good jelly, and I'll be very glad to make
yours."

When she left, Lilian had an order for two dozen glasses of apple jelly, as well as a standing one for bread and rolls. Mrs. Porter was next visited and grasped eagerly at the opportunity.

"I know your bread will be good," she said, "and you may count on me as a regular customer."

Lilian thought she had enough on hand for a first attempt and went home satisfied. On her way she called at the grocery store with an order that surprised Mr. Hooper. When she told him of her plan he opened his eyes.

"I must tell my wife about that. She isn't strong and she doesn't like cooking."

After dinner Lilian went to work, enveloped in a big apron, and whipped eggs, stoned raisins, stirred, concocted, and baked until dark. When bedtime came she was so tired

that she could hardly crawl upstairs; but she felt happy too, for the day had been a successful one.

And so also were the days and weeks and months that followed. It was hard and constant work, but it brought its reward. Lilian had not promised more than she could perform, and her customers were satisfied. In a short time she found herself with a regular and growing business on her hands, for new customers were gradually added and always came to stay.

People who gave parties found it very convenient to follow Mrs. Saunders's example and order their supplies from Lilian. She had a very busy winter and, of course, it was not all plain sailing. She had many difficulties to contend with. Sometimes days came on which everything seemed to go wrong--when the stove smoked or the oven wouldn't heat properly, when cakes fell flat and bread was sour and pies behaved as only totally depraved pies can, when she burned her fingers and felt like giving up in despair.

Then, again, she found herself cut by several of her old acquaintances. But she was too sensible to worry much over this. The friends really worth having were still hers, her mother's face had lost its look of care, and her business was prospering. She was hopeful and wide awake, kept her wits about her and looked out for hints, and learned to laugh over her failures.

During the winter she and her mother had managed to do most of the work themselves, hiring little Mary Robinson next door on especially busy days, and now and then calling in the assistance of Jimmy Bowen and his hand sled to carry orders to customers. But when spring came Lilian prepared to open up her summer campaign on a much larger scale. Mary Robinson was hired for the season, and John Perkins was engaged to act as carrier with his express wagon. A summer kitchen was boarded in in the backyard, and a new range bought; Lilian began operations with a striking advertisement in the Willington _News_ and an attractive circular sent around to all her patrons. Picnics and summer weddings were frequent. In bread and rolls her trade was brisk and constant. She also took orders for pickles, preserves, and jellies, and this became such a flourishing branch that a second assistant had to be hired.

It was a cardinal rule with Lilian never to send out any article that was not up to her standard. She bore the loss of her failures, and sometimes stayed up half of the night to fill an order on time. "Prompt and perfect" was her motto.

The long hot summer days were very trying, and sometimes she got very tired of it all. But when on the anniversary of her first venture she made up her accounts she was well pleased. To be sure, she had not made a fortune; but she had paid all their expenses, had a hundred dollars clear, and had laid the solid foundations of a profitable business.

"Mother," she said jubilantly, as she wiped a dab of flour from her nose and proceeded to concoct the icing for Blanche Remington's wedding cake, "don't you think my business venture has been a decided success?"

Mrs. Mitchell surveyed her busy daughter with a motherly smile. "Yes, I think it has," she said.

REGRET by: Kate Chopin (1851-1904)

Mamzelle Aurélie possessed a good strong figure, ruddy cheeks, hair that was changing from brown to gray, and a determined eye. She wore a man's hat about the farm, and an old blue army overcoat when it was cold, and sometimes top-boots.

Mamzelle Aurélie had never thought of marrying. She had never been in love. At the age of twenty she had received a proposal, which she had promptly declined, and at the age of fifty she had not yet lived to regret it.

So she was quite alone in the world, except for her dog Ponto, and the negroes who lived in her cabins and worked her crops, and the fowls, a few cows, a couple of mules, her gun (with which she shot chicken-hawks), and her religion.

One morning Mamzelle Aurélie stood upon her gallery, contemplating, with arms akimbo, a small band of very small children who, to all intents and purposes, might have fallen from the clouds, so unexpected and bewildering was their coming, and so unwelcome. They were the children of her nearest neighbor, Odile, who was not such a near neighbor, after all.

The young woman had appeared but five minutes before, accompanied by these four children. In her arms she carried little Élodie; she dragged Ti Nomme by an unwilling hand; while Marcéline and Marcélette followed with irresolute steps.

Her face was red and disfigured from tears and excitement. She had been summoned to a neighboring parish by the dangerous illness of her mother; her husband was away in Texas -- it seemed to her a million miles away; and Valsin was waiting with the mule-cart to drive her to the station.

"It's no question, Mamzelle Aurélie; you jus' got to keep those youngsters for' me till I come back. *Dieu sait,* I would n' bother you with 'em if it was any other way to do! Make 'em mine you, Mamzelle Aurélie; don' spare 'em. Me, there, I'm half crazy between the chil'ren, an' Léon not home, an' maybe not even to fine po' *maman* alive *encore!*" -- a harrowing possibility which drove Odile to take a final hasty and convulsive leave of her disconsolate family.

She left them crowded into the narrow strip of shade on the porch of the long, low house; the white sunlight was beating in on the white old boards; some chickens were scratching in the grass at the foot of the steps, and one had boldly mounted, and was stepping heavily, solemnly, and aimlessly across the gallery. There was a pleasant odor of pinks in the air, and the sound of negroes' laughter was coming across the flowering cotton-field.

Mamzelle Aurélie stood contemplating the children. She looked with a critical eye upon Marcéline, who had been left staggering beneath the weight of the chubby Élodie. She surveyed with the same calculating air Marcélette mingling her silent tears with the audible grief and rebellion of Ti Nomme. During those few contemplative moments she

was collecting herself, determining upon a line of action which should be identical with a line of duty. She began by feeding them.

If Mamzelle Aurélie's responsibilities might have begun and ended there, they could easily have been dismissed; for her larder was amply provided against an emergency of this nature. But little children are not little pigs: they require and demand attentions which were wholly unexpected by Mamzelle Aurélie, and which she was ill prepared to give.

She was, indeed, very apt in her management of Odile's children during the first few days. How could she know that Marcélette always wept when spoken to in a loud and commanding tone of voice? It was a peculiarity of Marcélette's. She became acquainted with Ti Nomme's passion for flowers only when he had plucked all the choicest gardenias and pinks for the apparent purpose of critically studying their botanical construction.

"'T ain't enough to tell 'im, Mamzelle Aurélie," Marcéline instructed her; "you got to tie 'im in a chair. It's w'at *maman* all time do w'en he's bad: she tie 'im in a chair." The chair in which Mamzelle Aurélie tied Ti Nomme was roomy and comfortable, and he seized the opportunity to take a nap in it, the afternoon being warm.

At night, when she ordered them one and all to bed as she would have shooed the chickens into the hen-house, they stayed uncomprehending before her. What about the little white nightgowns that had been taken from the pillow-slip in which they were brought over, and shaken by some strong hand till they snapped like ox-whips? What about the tub of water which had to be brought and set in the middle of the floor, in which the little tired, dusty, sun-browned feet had every one to be washed sweet and clean? And it made Marcéline and Marcélette laugh merrily -- the idea that Mamzelle Aurélie should for a moment have believed that Ti Nomme could fall asleep without being told the story of Croque-mitaine or Loup-garou, or both; or that Élodie could fall asleep at all without being rocked and sung to.

"I tell you, Aunt Ruby," Mamzelle Aurélie informed her cook in confidence; "me, I'd rather manage a dozen plantation' than fo' chil'ren. It's *terrasent! Bonté!* don't talk to me about chil'ren!"

"'T ain' ispected sich as you would know airy thing 'bout 'em, Mamzelle Aurélie. I see dat plainly yistiddy w'en I spy dat li'le chile playin' wid yo' baskit o' keys. You don' know dat makes chillun grow up hard-headed, to play wid keys? Des like it make 'em teeth hard to look in a lookin'-glass. Them's the things you got to know in the raisin' an' manigement o' chillun."

Mamzelle Aurélie certainly did not pretend or aspire to such subtle and far-reaching knowledge on the subject as Aunt Ruby possessed, who had "raised five an' bared [buried] six" in her day. She was glad enough to learn a few little mother-tricks to serve the moment's need.

Ti Nomme's sticky fingers compelled her to unearth white aprons that she had not worn for years, and she had to accustom herself to his moist kisses -- the expressions of an affectionate and exuberant nature. She got down her sewing-basket, which she seldom used, from the top shelf of the armoire, and placed it within the ready and easy reach which torn slips and buttonless waists demanded. It took her some days to become accustomed to the laughing, the crying, the chattering that echoed through the house and around it all day long. And it was not the first or the second night that she could sleep comfortably with little Élodie's hot, plump body pressed close against her, and the little one's warm breath beating her cheek like the fanning of a bird's wing.

But at the end of two weeks Mamzelle Aurélie had grown quite used to these things, and she no longer complained.

It was also at the end of two weeks that Mamzelle Aurélie, one evening, looking away toward the crib where the cattle were being fed, saw Valsin's blue cart turning the bend of the road. Odile sat beside the mulatto, upright and alert. As they drew near, the young woman's beaming face indicated that her homecoming was a happy one.

But this coming, unannounced and unexpected, threw Mamzelle Aurélie into a flutter that was almost agitation. The children had to be gathered. Where was Ti Nomme? Yonder in the shed, putting an edge on his knife at the grindstone. And Marcéline and Marcélette? Cutting and fashioning doll-rags in the corner of the gallery. As for Élodie, she was safe enough in Mamzelle Aurélie's arms; and she had screamed with delight at sight of the familiar blue cart which was bringing her mother back to her.

The excitement was all over, and they were gone. How still it was when they were gone! Mamzelle Aurélie stood upon the gallery, looking and listening. She could no longer see the cart; the red sunset and the blue-gray twilight had together flung a purple mist across the fields and road that hid it from her view. She could no longer hear the wheezing and creaking of its wheels. But she could still faintly hear the shrill, glad voices of the children.

She turned into the house. There was much work awaiting her, for the children had left a sad disorder behind them; but she did not at once set about the task of righting it. Mamzelle Aurélie seated herself beside the table. She gave one slow glance through the room, into which the evening shadows were creeping and deepening around her solitary figure. She let her head fall down upon her bended arm, and began to cry. Oh, but she cried! Not softly, as women often do. She cried like a man, with sobs that seemed to tear her very soul. She did not notice Ponto licking her hand.

THE GARDEN OF MEMORIES
BY C. A. MERCER

THE garden looked dreary and desolate in spite of the afternoon sunshine. The lilac and lavender bushes were past their prime; their wealth of sweetness had been squandered by riotous offshoots. The wind played among the branches, and cast changing sun-flecked shadows on the grass-grown paths, narrowed by the encroachment of the box

borders that had once lined the way with the stiff precision of troops before a royal progress.

The flowers had the air of being overburdened with the monotony of their existence. They could never have had that aspect if they had been only wild flowers and had never experienced human care and companionship. That made the difference.

The gate hung on rusty hinges; it answered with a long- drawn-out creaking, as it was pushed open by a man who had been a stranger to the place for nearly twenty years.

Yes, the garden was certainly smaller than it had been pictured by his memory. There had been a time when it had appeared as a domain of extensive proportions, and the wood beyond of marvelous depth and density.

He was conscious of a sense of disappointment. The property would scarcely realize as high a price in the market as he had hoped; and it was incumbent upon him to part with it, if he would be released from the narrow circum stances that hemmed him in.

He had arranged to meet the lawyer there that afternoon. One of the latter's clients had already made a bid for the estate. The timber, at all events, would add to the value.

The house faced southward upon the garden. It was here the man had been brought up by an old great-aunt. He guessed later that she had grudged him any of the endearments that death had denied her bestowing upon her own children. Her affections had all been buried before he was born. Besides, he took after the wrong branch of the family.

She must have possessed a strong personality. It was difficult to bring to mind that it was no longer an existent force. Every one, from the parson to the servants, had stood a little in awe of her. He remembered the unmoved manner in which she had received the news of the death of a near relative. It had overwhelmed him with a sudden chill, that so she would have received tidings of his own. It had taken all the sunshine in the garden to make him warm again.

In the mood that was growing upon him, it would not have much surprised him to find her sitting bolt upright in her carved high-back chair, as she had sat in the time of his earliest recollections, the thin, yellow hands, on which the rings stood out, folded in her lap. On one occasion she had washed his small hands between hers . The hard luster of the stones acquired a painful association with the ordeal. The blinds would be partially drawn in the musk-scented parlor, to save the carpet from further fading, for there had been a tradition of thrift in the family from the time of its settlement, a tradition that had not been maintained by its latest representative.

Like the atmosphere of a dream, the years grew dim and misty between now and the time when summer days were longer and sunnier, and it had been counted to him for righteousness if he had amused himself quietly and not given trouble.

A stream that he had once dignified with the name of river formed a boundary between the garden and the wood. Although it had shrunk into shallow insignificance, with much beside, a faint halo of the romance with which he had endued this early scene of his adventures still clung to the spot.

As he came to the stream, he saw the reflection of a face in the water not his own, but that of one much younger. It was so he met the boy. The child had been placing stepping-stones to bridge the stream, and now came across, balancing himself on the slippery surfaces to test his work. It was odd that he had remained unobserved until this moment, but that was due to the fact of the water-rushes on the brink being as tall as he.

The boy's eyes met those of the man with a frank,
unclouded gaze. He did not appear astonished. That is the way when one is young enough to be continually viewing fresh wonders ; one takes everything for granted. He saw at a glance that this other was not alien to him; his instinct remained almost as true as those of the wild nature around.

For his own part, he had an unmistakable air of
possession about him. He appeared to belong to the place as much as the hollyhocks and honeysuckle; and yet, how could that be?

Probably a child of the caretaker, the man told himself. He had authorized the agent to do what was best about keeping the house in order. He had not noticed what signs it had to show of habitation. Now he saw from the distance that it had not the unoccupied appearance he had expected of it; nor the windows, the dark vacant stare of those that no life behind illumines.

Do you live here? he asked of the boy.

Yes. The boy turned proudly toward the modest gray pile in the manner of introducing it, forgetting himself in his subject. It s a very old house. There is a picture over the bureau in the parlor of the man who built it, and planted the trees in the wood. Hannah says

Hannah!

It was a foolish repetition of the name. Of course there were other Hannahs in the world. The old servant of that name, who had told the man stories in his boyhood, had been dead more years than the child could number.

Yes, don t you know Hannah? She'll come and call me in presently, and then you'll see her. Hannah says that the trees have grown up with the family (he assumed a queer importance, evidently in unconscious mimicry of the one who had repeated the tradition to him), and that with them the house will stand or fall. Do you think the roots really reach so far?

There was an underlying uneasiness in the tone, which it was impossible altogether to disguise. As the other expressed his inability to volunteer an opinion on this point, the boy went on, seeing that his confidences were treated with due respect :

I dug up one myself once I wished I hadn't afterwards to make myself a Christmas tree like I'd read about. I just had to hang some old things I had on it. It was only a tiny fir, small enough to go in a flower-pot; but that night the house shook, and the windows rattled as if all the trees in the forest were trying to get in. I heard them tapping their boughs ever so angrily against the pane. As soon as it was light, I went out and planted the Christmas tree again. I hadn't meant to keep it out of the ground long: they might have known that.

Have you no playfellows here?

The boy gave a comprehensive glance around. There are the trees ; they are good fellows. I wouldn't part with one of them. It s fine to hear them all clap their hands when we are all jolly together. There are nests in them, too, and squirrels. We see a lot of one another.

This statement was not difficult to believe: the Holland overalls bore evident traces of fellowship with mossy trunks.

The boy did most of the talking. He had more to tell of the founder of the family whose portrait hung in the parlor, and of how, when he the child grew up, he rather thought of writing books, as that same ancestor had done, and making the name great and famous again. He had not decided what kind of books he should write yet. Was it very hard to find words to rhyme, if one tried poetry? He was at no pains to hide such fancies and ambitions, of which his kind are generally too sensitive or too ashamed to speak to their elders, and which are as a rule forgotten as soon as outgrown.

Shall we go in the wood now? said the boy. It s easy enough to cross over the stepping-stones. Yes, let us go. The man was beginning to see every thing through the boy's eyes. The garden was again much as he had remembered it, enclosed in a world of beautiful mystery. Nothing was really altered. What alteration he had imagined had been merely a transitory one in himself. The child had put a warm, eager hand into his; together they went into the wood, as happy as a pair of truant school boys ; they might have been friends of long standing.

So this is your enchanted forest? said the man.

Not really enchanted, replied the boy -seriously. I
once read of one, but of course it was only in a fairy tale. That one vanished as soon as one spoke the right word. It would be a very wrong word that could make this vanish. He had a way of speaking of the wood as if it were some sacred grove. His companion suddenly felt guilty, not quite knowing why.

Of course some one might cut them down, The boy lowered his voice; it seemed shameful to mention the perpetration of such a deed aloud. It would be terrible to hear them groan when the axe struck them. The young ones mightn't mind so much; but it would be bad for the grand father trees who've been here from the beginning. Hannah says one would still hear them wailing on stormy nights.

Even if they had been felled and carted away?

Yes, even then; though, to be sure, there would be no one to hear the wailing if it's true that the house must fall, too, at the same time. But we needn't trouble about that; none of it is likely to happen. You see, if it did, where should I be?

He laughed merrily. This last argument appeared to him to be quite conclusive. Such an important
consideration placed the awful contingency quite out of the question, and transformed it into nothing more than a joke.

The child's laughter died away as they both stood still to listen. Each thought he had heard his own name called.

It's Hannah, said the boy; and off he raced toward the house, barely saving himself from running into the arms of another person who had turned in at the gate.

Who was the boy who ran round by the espaliers
a minute ago? One would scarcely have judged him to be a child of the caretaker.

The man's heart sank with a dull thud: something had told him the answer before it came.

Child ! The lawyer looked puzzled. I did not see one. No children have any business in this garden; neither is there any caretaker here. The house has been shut up altogether since the old servant you called Hannah died, eleven years ago.

They had reached the veranda. The westering sun had faded off the windows. It was easy to see that the house was empty. The shutters were up within, and the panes dark and weather-stained. Birds had built their nests undisturbed about the chimney stacks. The hearthstones had long been cold.

My client is willing to purchase the property on the terms originally proposed, the lawyer was saying. He contemplates investing in it as a building site. Of course the timber would have to be felled.

A breeze passed through the treetops like a shudder. The younger man interposed :

I am sorry you should have had the trouble of coming here, but I have decided to keep the old place after all stick and stone. It is not right it should go out of the family. I must pull my affairs together as well as I can with out that.

The little phantom of his dead boyhood was to suffer no eviction.

A MODERN PILGRIM IN MECCA

BY

Arthur John Byng Wavell

NEW CHEAPER IMPRESSION
WITH AN INTRODUCTION BY

MAJOR LEONARD DARWIN

WITH A PORTRAIT OF THE AUTHOR AND A MAP

LONDON

CHAPTER I
LONDON TO BEYROUT

THE town of Mecca, as we have already seen, contains a temple which was an object of veneration in pre-Islamic days. In order to make clear how and why the Prophet came to substitute Islam for the old idolatrous religion without disturbing the sanctity of the Meccan shrine, we must re-edit a little Biblical history from a Moslem standpoint. The temple known as the Kaaba (the word means a cube) was built, then, originally by Adam in the likeness of a house he had seen in paradise before the Fall. It was rebuilt after the Flood by Abraham and Ishmael, and reconsecrated to the service of the true God. The Arabs, however, in the course of centuries fell away from the true faith, and a polytheistic religion grew up which, while losing sight of the deity in honour of whom it was founded, continued to regard the Kaaba itself as an object of worship. Such was the state of affairs when Mohammed began his preaching, and the earlier revelations he received made Jerusalem the "Kibla," that is to say the most sacred spot on earth, towards which worshippers turn when praying. Later on, however, this direction was cancelled : Mecca was substituted for Jerusalem, and the Kaaba pronounced to be the first and holiest of temples. A pilgrimage to it, once in a lifetime, was declared to be obligatory on every Moslem for whom the undertaking should be possible. Reasons of policy accounted for this"change of front," in the opinion of non-Moslem critics. The conversion of the Meccans themselves constituted, during the greater part of the Prophet's career as such, his principal immediate aim. Since the worldly prosperity of the Meccans depended then, as it does to-day, on the sanctity of their city, they were evidently more likely to listen to reason if the new religion they were invited to embrace

left this undisturbed. Mohammed, by the above ingenious method, succeeded in actually enhancing it. His quarrel with the Jews also is believed to have influenced him in this matter. Be the explanation what it may, the temple, the city, and even the surrounding country were proclaimed to be of so highly sanctified a character that no unbeliever should dare thenceforward to set foot in this sacred territory. It is not the least likely that the Prophet meant to exclude Jews and Christians, but then he was very much more broad-minded than any of his successors have been. His commands, however, were" construed in that way, and, strange as it may seem, no instance is on record of any one . having transgressed them openly and returned to tell the tale. This prohibition against the intrusion of unbelievers has been extended to include Medina, which acquires its special sanctity from the fact that the Prophet himself and many of his companions are buried there. Most Islamic sects set high value on a visit to this city, and the Sheia esteem one as being almost equal in merit to the pilgrimage itself. It would be strange indeed if the exclusive character of these cities had not excited in Western Europe the liveliest curiosity concerning them. Before going further, let it be clearly understood that any one who wishes to visit them may do so, after publicly professing Islam. It would be necessary to go before a Kadhi, repeat certain formulae and submit, in most cases, to one of the minor operations of surgery. This done, and a sufficiently long apprenticeship served to convince the local Moslem feeling that the convert's professions were sincere, there would be no objection to his making the pilgrimage. A long and drivelling correspondence between himself, the Foreign Office, and the Sublime Porte, would probably end in the last named having exhausted all possible pretexts for further delay, giving him a special passport. This once obtained, the Ottoman Government would be responsible for his welfare, and he would be enabled to travel to Mecca and Medina without running any special risk. He would probably be given an escort and otherwise looked after. He would generally be regarded as a legitimate object for curiosity, if not suspicion. The only alternative to this unattractive prospect, if one wishes to see these places, is to go there in disguise. The writer made the pilgrimage in the year 1908-9, partly out of curiosity, more particularly to accustom himself to Arab ways with a view to future journeys in disguise into the unexplored interior. The rank and reputation of a Hagi, that is to say, one who has duly performed certain rites on the prescribed day at Mecca, is useful to the traveller in Moslem countries.

The following pages contain an account of the journey that I wrote on my return, and did not originally intend to publish. It shows that the Hedjaz is by no means the inaccessible country it is often supposed to be. Masaudi, I must explain, is a Mombasa Swahili whom I took to England on purpose to assist me in the enterprise, and Abdul Wahid is an Arab from Aleppo, established in Berlin, whom I "signed on" later. The three of us foregathered at Marseilles on September23, 1908. The pilgrimage was taking place that year at the beginning of January, but as I intended to go to Medina first to stay some time in both places, we were not starting too early. I also wanted to stay sufficiently long in Damascus to convince myself that my assumption of an Eastern character was effective, before entering the forbidden territory. The first difficulty that confronted us was how to procure for Masaudi and myself the necessary passports. Abdul Wahid already had one, which only needed renewing. We adopted certain measures to overcome this difficulty, as a result of which I got a Turkish passport describing me as one Ali bin Mohammed, aged twenty-five, a subject of Zanzibar, on his way to Mecca. This document lately fell into the hands of the Turkish authorities, and there has been some trouble in consequence. I had better therefore confine myself to saying that the official who issued it to me did not realize that I was an Englishman, and that bribery played no part in the transaction. The question of passports being disposed

of thus satisfactorily, we were all anxious to get out of Marseilles as soon as possible. The hotel at which we were putting up, though cheap three francs per diem was somewhat malodorous. We spent the afternoon in visiting the offices of various steamship companies, hoping to get second-class berths to either Egypt or Syria. This proved impossible, all the steamers being full up. The only accommodation available for the next fortnight was first-class P. and O., or third-class Messageries, neither of which suited us at all. It then occurred to me that we might go on to Genoa, whence I knew that there were a number of lesser known steamship lines plying East, and where I thought we should run much less risk of being recognized, in case it was necessary to wait for any length of time. Moreover, I had never before been there. Having decided on this course, we lost little time in making our few arrangements, and left Marseilles at midnight. We got to Genoa at 4 p.m. next day, and found a cheap but by no means bad hotel on the road leading from the station. Indeed the only real objection to it was the unceasing noise of traffic rumbling over the paved streets, which prevented one from hearing a word that was said. In the course of the evening we visited all the steamship offices, and eventually took second-class berths in the Falerno, which was not starting for the next eight days, but was the first ship available. The prospect of so long a wait was by no means agreeable in the circumstances, but there was nothing else for it. I will pass over the days we spent at Genoa. We ate, slept, read, and wandered about the town, and were very bored. The other people of the hotel were Italians, and most of them, I should say, commercial travellers. They were not inquisitive which was the main thing.

We embarked on a Tuesday evening, and found the Falerno to be a ship of some two thousand tons burthen, and of a distinctly shoddy appearance. There were six berths in our cabin, and a saloon which served all other purposes. On deck there was no accommodation at all for the second class, and precious little for the first. The first few days were tolerable, for we practically had the ship to ourselves, but after Naples every berth was filled. The people in our cabin were very sea-sick when it was rough, and very noisy when it wasn't. We took in all nine days to get to Alexandria. There were no English people on board, but I think nearly every other European nationality had a representative. We of course kept very much to ourselves and sat at the end of the table. I admitted to knowing a little French, and occasionally conversed in that language with a rather good-looking, and very well dressed man, who told me he was an officer of the Khedive's household, and whom I strongly suspect to have been his valet.

We arrived at Alexandria late at night, but did not land till the following morning. We were taken at once to the passport office, where we produced our passports and had them duly "vise'd." We than passed on to the Customs shed. They asked if we had anything to declare, and we said we hadn't. I should explain that previous to coming ashore I had taken the precaution to pocket all the pistols and ammunition in our possession, as well as certain papers of a compromising nature, such as my English passport, cheque book, and so on. We also had in our luggage some watches and other things intended for presents later on, among them several of some value. These had been put in the pockets of the clothes to avoid breakage. There were also a medicine case, bandages, and various similar things. They made us open all the boxes and turn out the contents, which they searched carefully, reading every paper, opening every book, and laying violent hands on everything they found of the slightest value. The first box being thus disposed of, we were told to repack it. Realizing, that after all this trouble with the boxes, they could not intend to neglect the contents of our pockets, Masaudi and I, while doing so, contrived to include the pistols, papers, and other things. In this way we managed to offload what we were carrying, but to communicate with Abdul Wahid was impossible, and I foresaw disaster imminent. Sure enough, our boxes

having been gone through, we were herded into an inner apartment and searched. Masaudi and I were innocent enough of contraband articles, nothing more exciting coming to light than 200 in gold. Abdul Wahid, however, was made to disgorge pistols, ammunition, postcards, and jewellery in an apparently endless stream, all of which were pounced upon by the excited officials. After a consultation we were all arrested as suspicious characters, and put under a guard to await the arrival of the Mudir. That functionary when he eventually turned up two hours late decided that the case was too serious for him to deal with, and referred it to the Pasha. It being Ramadan the Pasha did not appear till about one o'clock, and when he did I saw at once that he was one of those people with whom fasting does not agree. He was in a bad temper. We were subjected to a searching cross-examination. The medicine case and instruments in particular came in for much undesirable attention. They could not imagine what we could want with such things. As luck would have it I had previously arranged with Abdul Wahid that in the event of any discussion he should lay claim to anything of this sort and conduct the conversation. To this foresight, and our good luck in returning the documents unobserved, we owed our salvation. Abdul Wahid, being the principal offender, came in for most of the suspicion attaching to us collectively. No one took much notice of Masaudi and myself. But so far as his being a true Arab was concerned is bona fides was unquestionable, and he talked so much and so fast that he eventually tired them out. We were dismissed with a caution, all dutiable things being retained at the Customs House, to be given up when we sailed for Beyrout. So about 2.30 p.m. we emerged once more into the sunlight, very hungry and tired, but feeling that when all was said and done we had got distinctly the best of the encounter. I carne in for the warmest congratulations from Abdul Wahid on having got rid of the documents in the manner I have described. He was of course unaware that I had done so, and when we were searched regarded discovery, with its attendant publicity, if no worse, as absolutely inevitable. When nothing at all was found on us his amazement was only equalled by his relief, and I felt that I had risen several degrees in his estimation from that day forward. We asked the sentry at the gates to recommend us a cheap hotel suitable for persons of our description, which he did unhesitatingly. We found it to consist of a suite of rooms situated over a barber's shop, and when we came to inspect the interior I could not help thinking that the sentry had formed, an undeservedly small opinion of us. However, it was certainly cheap (one franc per diem), and reasonably clean. After a furious row with the porters carrying our boxes, we eventually settled with them, got a change and some food, and refreshed ourselves by a short sleep. In the evening we repaired to the nearest Hamam (Turkish bath). I now took the precaution to shave my head with a view to looking as " un-European " as possible, and dressed in Arab clothes, as also did the others. Hitherto we had been wearing our ordinary clothes, with the addition only of the tarboosh. I was pleased to find that our appearance seemed to excite no particular interest. During the few days we spent at Alexandria we were occasionally asked from what country we came being obviously foreigners. Abdul Wahid usually said Bagdad, which did for all three of us ; and when it was necessary to explain further Zanzibar satisfied the most curious. The next day we took deck passages on a Khedivial Mail ship for Beyrout. The first available was starting in three days' time, but as the delay afforded me an opportunity to get accustomed to the new conditions of life, as well as to practise colloquial Egyptian Arabic, it was not unwelcome.

The language question, which strikes most people as the greatest obstacle to travelling in disguise, is not really so formidable as it appears. In Arabic there are so many dialects, so widely divergent in their pronunciation and vocabulary, that peculiarities of either excite little attention. A man from the Yemen, for instance, does not readily

understand two Egyptians talking together, though he may converse with them himself without difficulty ; this is for the reason that strangers in conversation one with another can employ the more correct pronunciation and grammar more nearly approximating to that of the classical or written language, and can further avoid local slang and any particular variety of dialectical pronunciation that might make their speech difficult to understand. Then again, there are large numbers of people in all Eastern countries calling themselves Arabs who are really Persians, Kurds, Turks, etc., most of whom are physically incapable of giving the true Bedoui pronunciation to the various consonants characteristic of the Arabic language. This remark applies also to the Egyptians : a Cairo-born man can no more pronounce properly than if he came from Clapham Common. I overcame all difficulty in the matter by the simple expedient of saying that in Zanzibar the colloquial language was Swahili and that no one talked Arabic which is a fact. Among the people with whom I associated no one knew Swahili at all. I was able consequently to ask Masaudi's advice openly in any difficulty without the slightest fear of being understood, a facility of which I often availed myself. I was careful always to talk to him very fast, so as to give the impression that I was speaking my native language. On the few occasions that I had to speak Swahili to natives of those parts, I merely inverted the statement and told them that having been born in Muscat my real language was Arabic. I never found any one sufficiently well acquainted with both languages to find me out, and of course I was at pains to avoid the society of any one who was likely to be able to do so. Burton I believe employed very much the same device on his journey. 'It is in fact the obvious thing to do.

We left Alexandria on a Wednesday, sailing about four o'clock in the afternoon. At two o'clock we went down to the Customs House and recovered our things. We were then taken to the police station, where our passports were again inspected, and our countenances subjected to a careful scrutiny to see if they resembled any of the criminals whose photographs were pasted over the walls. Haying satisfied themselves on this point, the police passed us on to the quarantine office, where our luggage was again opened, but as it contained nothing of the nature of dirty clothes we were excused fumigation and introduced forthwith to another room to await the doctor who was to examine our persons. The examination was quite farcical. We were made to stand in a line down which the doctor walked prodding us under the arms after which ceremony we were released and allowed to go on board. The idea is to discover the glandular swellings which are the characteristic symptom of plague ; but of course a case sufficiently advanced to be detected by such means would scarcely be in a state to start on a journey, so that I cannot see that these formalities serve any good purpose. The inspection, if really necessary, should at least be thorough and include temperature-taking, which alone can be relied on to afford indication of incipient cases. As carried out at present the quarantine regulations in this part of the East are merely vexatious.

The steamer was one of the largest of the line, over 5000 tons, if I remember rightly. She was very crowded on deck at least. We were located in the after part of the ship and were apparently very late in arriving, as all the best places had already been taken. After considerable squabbling we succeeded in planting our carpet on top of a large chest fixed to the port bulwark, which seemed to me a peculiarly advantageous position, being clean, and well above the crowd. The objection to it we discovered shortly after starting, when it was too late to change. It was in fact the ice chest, and throughout the voyage, whenever the cook wanted anything out of it, we had to roll up our blankets and other belongings and get off to our own extreme annoyance and the amusement of our fellow-passengers. This happened on the average ten times a day. That evening the boatswain, a Turk, offered us his cabin for the sum of 2. We said ten shillings and

finally compromised for a louis. This cabin, which contained two wooden bunks, was placed directly over the rudder. It afforded us some welcome privacy, and shelter in bad weather, but it was almost impossible to sleep there owing to the heat and stuffy atmosphere, to say nothing of the size and ferocity of the fleas that infested it. The other passengers were a medley of all races and colours Greeks, Italians, Egyptians, Arabs from the West, Syrians, and Turks all crowded together on deck so that it was almost impossible to walk without treading on some one.

A JOURNEY

TO

EGYPT AND THE HOLY LAND,

IN 1869–1870.

BY

HENRY M. HARMAN, D.D.,

PROFESSOR OF ANCIENT LANGUAGES AND LITERATURE IN DICKINSON COLLEGE, CARLISLE, PA.

"Semper ego auditor tantum?"

PHILADELPHIA:

J. B. LIPPINCOTT & CO.

1873.

CHAPTER III.

Arrival in Egypt.—Strange Sights in Alexandria.—Pompey's Pillar.—Cleopatra's Needle.—The Copts.—Pasha's Palace.—The History of Alexandria: its present Condition and Prospects.—Departure by Rail for Cairo.—The Branches of the Nile.—Land of Goshen.—Products of Egypt; its Irrigation.—First Sight of the Pyramids.—Arrival in Cairo.—A Visit to the Citadel and Mosque of Mohammed Ali.—To the Banker's.—The Narrow Streets of Cairo; its Donkeys.—A Visit to the Pyramids; a Description of them.—The Sphinx.—A Visit to Heliopolis; a Description of the Ancient City.—A Visit to the Ruins of Memphis.—Apis Cemetery.—Departure for the Red Sea.

EARLY on the morning of December 4, we came in sight of the low coast of Egypt; we saw the palace of the Pasha and many windmills on our right; an Arab pilot with flowing robes and Turkish cap came on board. About eight A.M. we entered the harbor of Alexandria and cast anchor. We observed in the harbor several fine steamers, and here for the first time we saw floating the Mohammedan ensign,—the moon about three days old, with one star or more in the concave part. Our ship soon attracted the Arab boatmen, who came aboard in crowds. And such a scramble there was for the passengers! They seemed determined to take possession of me without any regard to my own wishes, and when I bargained with one of them to be taken ashore, another expressed his fears that I had got into trouble. A few minutes' rowing brought me

to land and to the custom-house. Here my baggage was examined. Passports are required all through the Turkish empire. One of the custom-house officers followed me to obtain some backshish.

The first thing that strikes the traveler upon landing in Egypt is the filth he everywhere sees. I made my way through the dirty streets, following the porter who was carrying my trunk; he took me first to the Hôtel d'Europe, where the charge was sixteen shillings a day; but disliking the appearance of things here, I went to the Peninsular and Oriental Hotel, where the charge is sixteen shillings a day, and the fare is most excellent; this is the best hotel in Alexandria. I stepped into a barber-shop near the hotel to be shaved, and I was shaved face and pocket too; for on asking how much I was to pay, he answered two francs, about thirty-eight cents. I told him that was dear, but his reply was, "This is Egypt." In the hotel I met with a Mr. Earickson, of Rochester, New York. He had with him a servant, whom he hired in France, and a dragoman, a native of Malta; he was on his way to Thebes. He kindly invited me to take a ride with him around the city. We visited Pompey's Pillar and Cleopatra's Needle. These monuments, and indeed all the obelisks of Egypt, are made of a very hard, reddish granite, called syenite. Pompey's Pillar stands south of the city on a small eminence, not far from Lake Mareotis, and close to the Mohammedan burying-ground. According to Wilkinson, its height is ninety-eight feet nine inches, the shaft seventy-three feet, and the circumference twenty-nine feet eight inches. Wilkinson supposes that this monument "silently records the capture of Alexandria by the arms of Diocletian

in A.D. 296." Cleopatra's Needle stands near the Great Harbor, now called New Port, not far east of the Frank square. It is considerably undermined. Its height, according to Wilkinson, is seventy feet, and its diameter at the base seven feet seven inches. It is said to have been brought from Heliopolis by one of the Cæsars. On the suburbs of Alexandria we saw some Bedouins encamped; we made our way through the dogs that were very fierce into one of the tents; it was quite small, and there was little that was striking except the beautiful white teeth of the woman, and the shaved head of the boy, with a single tuft remaining in front. We observed a hand-mill worked by one woman. The color of these Bedouins was that of copper.

Saturday afternoon I mounted a donkey for the novelty of the thing, to ride to the bazaar. It seemed to me that I cut a ridiculous figure. A large man, more than six feet high, riding a little donkey! I looked around on all sides to see if any one laughed. But it seemed strange to nobody. An American lady, however, who saw me from the hotel window, laughed, as she afterwards told me. Nothing seems strange or out of order in Alexandria. I bought at the bazaar a Turkish cap for three francs, for which I was asked six.

Sunday morning I obtained a guide, and paid a visit to the Coptic church. But as the church—which was large—was rebuilding, no service was held there, and I was quite disappointed. One of the Copts chanted for me some Coptic service, but as I did not give him much backshish he soon grew weary. They have the gospels in Arabic. I saw several Coptic females standing close by, well dressed and partly veiled, of

the color of bright copper. As I approached these timid sisters, they became *apparently* frightened, and my guide told me I must keep away from them. This advice I indignantly spurned, telling him that I was an *American.* I paid my respects to these sisters. The font in which the Copts baptize infants by immersion was pointed out to me; it was not large enough for the immersion of adults. I left for the English Chapel, where I found a congregation numbering from seventy-five to one hundred. The contrast between the well-dressed, elegant-looking English men and women and the dirty natives was striking. The sermon we heard was by no means an able one.

I could not distinguish the Copts from the native Moslems of Egypt. The small size and the copper or reddish-brown complexion is the same.

"The Copts are undoubtedly descendants of the ancient Egyptians, but not an unmixed race; their ancestors in the early age of Christianity having intermarried with Greeks, Nubians, Abyssinians, and other foreigners. We observe some striking points of resemblance, and yet upon the whole a considerable difference, between the Copts and the ancient Egyptians, if we may judge of the latter from the paintings and sculptures in their tombs and temples. The difference, however, is easily accounted for by the fact of the intermarriage of the modern Copts with foreigners above mentioned. The eyes of the Copt are generally large and elongated, slightly inclining from the nose upwards, and always black; the nose is straight, excepting at the end, where it is rounded and wide. The lips are rather thick, and the hair is black and curly. The Copts are, generally speaking, some-

what under the middle size; and so, as it appears from the mummies, were the ancient Egyptians."*

The Copts belong to the sect of Christians called the Monophysites, whose doctrine, that Christ has but one nature, the Divine, was condemned by the Council of Chalcedon, in the middle of the fifth century. There is a small portion of them, however, that belong to the Roman Catholic and to the Greek faith.

On Sunday afternoon, in company with Mr. Earickson, I paid a visit to the palace of the Pasha; it stands on the north side of the Old Port, the harbor that is now used, and commands a beautiful view of the shipping, and also of a portion of Alexandria. The palace cannot be called splendid. Its style is principally European. We saw fine chandeliers, and in one room some very large, wide divans, which had the appearance of being very inviting seats. In another room we observed an elegant circular, or rather elliptical, table of marble, on the top of which was inwrought, in mosaics, the principal antique buildings of Rome. This table was a gift from the present Pope to the Khedive of Egypt.

What a strange city this Alexandria is! The European or American, who for the first time lands at Alexandria, seems to be in another world. The transition from Naples to Alexandria is sudden. What a mixture of inhabitants you see! Nubians, black as coal, Abyssinians, Copts, Armenians, Greeks, Arabs, Englishmen, Frenchmen, Italians, and Americans. To this mass of human beings you must add camels, horses, asses, and dogs. What a medley of languages,

* Lane's Modern Egyptians, vol. ii., 312, 313.

too. Here the Oriental life predominates, and here the West comes in contact with the East, and shows, in the most striking manner, its superiority over the Orient. On one side of the picture you see the dirty, squalid native, whose ignorance is in proportion to his dirt; on the other, the well-dressed, intelligent, progressive European, who looks down, with an air of superiority, upon the natives of the soil.

The females generally go veiled. We observed some of them wearing veils with two small holes for the eyes; but the usual fashion is to wear a veil attached to a piece of wood or horn ending in a hook. This hook is attached to the top of the forehead, and the veil covers the lower part of the face from the upper part of the nose. But the most painful sight is the number of dirty, miserable-looking women. We saw no native women in Egypt that were attractive; and the same may be said of the East in general. In striking contrast with the misery of the people is the climate of Egypt (in winter), and its soil. Here we are reminded of the language of the hymn, "only man is vile." In this city there are nine or ten places of Christian worship.

Dogs in Egypt, and in the East in general, are a very conspicuous element. They greatly resemble wolves, and seem to be of the same species from the Nile to the Bosphorus. Many of the dogs of the East are said to have no owners. On the Sunday night while I was in Alexandria they kept up a great barking.



د / محمد السيد علي عزب

- مدير معهد اللغات ق م بالإسكندرية
- أستاذ الأدب الإنجليزي (المنتدب) بكلية التربية، جامعة الإسكندرية
- أستاذ الأدب الإنجليزي بكلية اللغات والترجمة ، جامعة فاروس، الإسكندرية
- الأستاذ المساعد بجامعة الملك سعود

نشر له:

- **A Guideline to Translation** حورس، الإسكندرية
- **Brush upon your English** البراء، الإسكندرية
- **Enhance your English Vocabulary** البراء، الإسكندرية
- تأثير المفاهيم الثقافية علي دراسة اللغة الثانية مع التركيز علي اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية، البراء، الإسكندرية
- من مسرح الحرب: أمهات الرجال، رادا (ترجمة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة المسرح العالمي، يناير 2010.
- روايات محظورة، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية
- اللغة الانجليزية كما يتكلمها أهلها، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
- قاموس المجاز المصور للغة الإنجليزية، البيطاش للنشر والتوزيع، الإسكندرية.

هذا الكتاب



يضم هذا نماذج من الأدب الإنجليزي والأمريكي تغطي جلة الأشكال الأدبية من المسرح والقصة والقصيدة ونثر أدب الرحلات.

كثير من القراء والدارسين يعرفون شكسبير وملتون وجونسون وكيتس وشيلي وآرثر ميلر وإرنست هيمنجواي ومارك توين وإيملي ديكنسون وغيرهم، لكنهم لا يعرفون ألن مونكهاوس وراشيل كرومبتون ولوسي مود مونتجمري وإدوارد توماس وكيث دوجلاس وآرثر جون بنج ويفل وهنري هارمن. من أجل ذلك عرجت في كتابي هذا علي المجموعة الثانية وقدمت جزءا من أدبهم لأول مرة للقارئ العربي.

لهذا الكتاب فائدة أخري غير الاستمتاع وأعني إخضاع النصوص الواردة فيه للنقد الأدبي خاصة وأنها كما أشرنا جديدة لم يسبق ترجمتها وبالتالي لم يتم تناولها بالدراسة والتحليل.

فائدة ثالثة ترجي من وراء هذا العمل وهي تحليل الترجمة من قبل دارسي هذا الحقل، ومن أجلها وضعت النصوص الإنجليزية ملحق الكتاب الذي أرجو أن ينال رضا القارئ ويمثل إضافة للمكتبة العربية.